



## مقدمة

### بسم الله الرحمن الرحيم

الصلاة والسلام على نبي الله محمد صلى الله عليه وسلم شكر كثير وثناء من قلب عبد ضعيف إلى ربِّ الكون الغفار الغفور، الخالق الرؤوف.  
وبعد:

يُقال أنّ الأدب هو خادم للمجتمع، وهذا الأخير المنبع الذي تولد من قضايا واتجاهات، أشعار ومقامات، قصص وروايات، خطب وخواطر، حكم تتبعها قيم، أمّا الأديب فيها أو الشاعر أو الناقد فيظهر دوره في التزامه بالتعبير عنها وطرحها ثمّ معالجتها وهذا هو الحال أو الصواب، أنّ كل أديب يُعبر عن فوضايا وطنه. ولعلّ محمد محمد حسين كان من الأقلام الهامة التي لم يأبى إلا أن يكون له دور في ذلك أيضاً، وهذا ما نجده في كتابه "الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر" ولعلّ هذا المؤلف حمل في طياته وبين ثناياه أهم القضايا التي عاشتها مصر خلال مرحلة الاحتلال الإنجليزي، إضافةً إلى أهم التيارات والنزعات السياسية التي مثلها وتناولها العديد من النقاد والأدباء، ولا ننسى إشارته إلى الثورات والجامعات والصحف والمجلات التي لعبت دوراً هاماً في نقل ما عاشته مصر في تلك الفترة، ودور الشعراء أيضاً في التعبير عمّا جاءت به قريحتهم.

لقد كانت هذه القضايا والاتجاهات والآراء والتيارات التي تناولها الكاتب أعلاه سبباً في طرح العديد من الاشكالات لعلّ أهمها:

- ما هي الجامعة الإسلامية؟ من هم أهم روادها؟
- فيما تجلت الآراء والقضايا التي طرحتها؟
- كيف ساهمت في التعبير عمّا عاشته مصر إبّان الاحتلال؟
- ماذا نقصد بالجامعة المصرية؟ وكيف تناولها الكاتب؟

- فيما تجلت أهم المواضيع والقضايا التي تناولتها؟
  - كيف كانت محنة الجامعة الإسلامية؟
  - ما هي أهم أسبابها؟ وما أهم النتائج التي ترتبت عنها؟
- هذا فيما يخص الفصل الأول والثاني والثالث. أمّا فيما يخص الفصل الرابع والخامس فقد حمل الإشكاليات التالية:
- ماذا نقصد بالتيارات السياسية؟
  - ما هي أهم النقاط التي تناولتها؟
  - من هم أهم النقاد والمفكرين والشعراء الذين تناولوها؟ وكيف عالجوها؟
  - ما هي النزاعات السياسية؟ وفيما تجلّى دورها؟
  - ما هي أهم القضايا التي طرحتها؟
  - فيما تجلّى دور الصحف والمجلاّت في التعبير عن ذلك الواقع والاستعمار الإنجليزي؟
- لقد كانت الأسباب والدوافع التي كانت ملازمة لنا في تناول هذا الموضوع مقسمة إلى ذاتية وأخرى موضوعية
- أولا الذاتية:
- الرغبة في اكتساب خبرة معرفية علمية تساعدنا في مشوارنا العلمي والتربوي.
  - الرغبة في التطلع على آداب الثقافات الأخرى وخاصة العربية منها التي تعد أصالة حضارتنا.
  - تناوله مواضيع لطالما ظلت بين رفوف المكتبات لم تجد من يلمسها ويهويها بدراساته وقرائاته بعدما كتبت وماتت
- ثانياً: الموضوعية:
- مناسبة الموضوع وملاءمته للتخصص الذي ندرسه وخدمته له.

- تناولها لأهم القضايا التي تتناسب مع المناهج التي سبق ودرسناها.
  - مواكبة ما يتناوله البحث العلمي بآلياته ومناهجه.
  - يُعتبر من أهم المواضيع التي تناولها العديد من النقاد بالنقد والتحليل والتفسير.
- إنّ طبيعة البحث وما تناوله من قضايا وتيارات ونظراً للإشكالات التي طُرحت آنفاً، تناولنا خطة مقسمة كالآتي:

استهللنا البحث بمدخل عام كان عبارة عن عرض ببليوغرافي عن الكاتب محمد محمد حسين، كما اعطينا بطاقة فنية عن الكتاب موضوع الدراسة، والموضوعات التي تطرق إليها.

أما الفصل الأول فكان عبارة عن عرض وتلخيص لمحتوى الكتاب بكل فصول الخمسة، والذي عنوانه " بعرض وتلخيص " .

ثم الفصل الثاني والمعنون " بدراسة وتحليل " عرضنا فيه بالدراسة المستفيضة للقضايا المطروحة مع الاستعانة ببعض المراجع التي لها علاقة بالموضوع.

وأثمينا الدراسة بخاتمة ذكرنا بعض النتائج المستخلصة من هذه الدراسة.

وفيما يخص المنهج المتبع في الدراسة كان مزدوجاً مبنياً على منهجين:

**منهج تاريخي:** يتتبع المراحل والخلفيات التاريخية لهذه التيارات والنزاعات وأهم الجامعات الإسلامية.

**منهج تحليلي:** يحلل ويوضح ويُقوّم وما تناوله الكاتب في مؤلفه.

ولا يخفى عن أيّ أحد أنّ البحث العلمي بصفة عامة يضم عدة صعوبات وعراقيل قد تواجه الباحث في ذلك كقلة الخبرة المعرفية وضعف الرصيد المعرفي إضافة إلى انحصار المصادر والمراجع التي تخص ها الكتاب وعدم وجود دراسات سابقة أو مقدمة حول هذا الموضوع الذي هو متشعب ومتفرع وقد تناول عدة قضايا مختلفة ومتعددة.

خاتمة هي شكر لرب الكون الخالق الغفور بديع السماوات الكريم الشكور نسأله السداد والتوفيق والوصول إلى لبنة من لبنات هذا الموضوع.

ولا ننسى شكر أساتذتنا الكرام اسماً باسم صفةً بصفة شخصاً بشخص فهم كانوا السند والعون في بناء كلمات هذا البحث بدون عناء ولا فضول فألف شكر لكم وأدام الله علمكم وحفظه على اليوم المعهود وإلى أستاذنا المشرف الأستاذ الدكتور "عيساني محمد" وأيضاً الدكتور "عطار خالد" نشكرهما ولا تكفي الكلمات ولا الحروف فهي تقف محتشمة وضعيفة لتكوين أرقى الكلمات أمام عملهما ومساندتهما لنا من بداية هذا البحث إلى نهايته.



الدكتور محمد محمد حسين  
(1912 – 1982)

# الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر

تألف

الدكتور محمد محمد حسين

أستاذ الأدب العربي الحديث بجامعة الإسكندرية

الطبعة الثالثة

١٩٨٠ - ١٤٠٠ م

مركز الطبع والنشر

مكتبة الآداب وطبعتها بإمباريوت ٩١٨٦٧١

الطبعة التمهيدية

٦ مكتبة الآداب، الطبعة التمهيدية ٩١٩٣٧٧

# مدخل



## الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر

### الجزء الأول

#### من الثورة العربية إلى قيام الحرب العالمية الأولى

الكتاب من تأليف الدكتور محمد محمد حسين أستاذ الأدب الحديث بجامعة الإسكندرية، الناشر المطبعة النموذجية بالحلمية الجديدة، مصر، سنة 1962، عدد الصفحات 370 صفحة من الحجم المتوسط 23/16.

#### التعريف بالكاتب:

هو الدكتور محمد محمد حسين رجل قلم أصيل ومتمكن في جانب الفكر والأدب والنقد والثقافة عموماً تنقل للتدريس الجامعي في عدة أمصار عربية وله كتابات قيمة ومتنوعة أثرى بها الساحة الفكرية الإسلامية، وساهمت في التنظير والنقد للمعرفة الإسلامية الأصيلة قبل أن يتوفاه الأجل. وُلد في سوهاج، من مدن الصعيد في مصر، في الرابع من أغسطس سنة 1912م، وتلقَّى تعليمه الابتدائي والثانوي فيها، باستثناء السنة الأولى الثانوية التي التحق فيها بمدرسة أسيوط الثانوية؛ لأنها كانت المدرسة الثانوية الوحيدة في صعيد مصر وقتذاك، وحصل على الليسانس سنة 1937م من قسم اللغة العربية في (الجامعة المصرية)، وكذلك كان اسمها؛ لأنها كانت الجامعة الوحيدة في مصر وفي البلاد العربية.

وعُيِّن معيداً في الكلية في السنة نفسها، وكُلِّف بتدريس اثني عشر درساً أسبوعياً في السنة الأولى. وكانت هذه هي السابقة الأولى التي يُعيَّن فيها معيد في سنة تخرجه ويكُلِّف بالتدريس. ثم حصل على (الماجستير والدكتوراه)، وانتدب للتدريس في كلية الآداب بالإسكندرية سنة 1940م، وكانت فرعاً من الجامعة المصرية في القاهرة، ثم نُقل إليها بعد استقلالها سنة 1942م، وتدرَّج في وظائف التدريس بها إلى أن شغل كرسي الأستاذية سنة 1954م، وتمَّ إعارته إلى الجامعة الليبية وجامعة بيروت العربية، وبعد بلوغه سن التقاعد تعاقد مع جامعة بيروت سنة 1972م، وظل بها إلى أن تعاقد مع جامعة محمد بن سعود الإسلامية سنة 1976م والتي بقي فيها حتى وفاته سنة 1982م.

عاش أديبنا في زمنٍ مبكرٍ من النهضة الأدبية الحديثة - كما تُدعى -، وكان في الساحة الأدبية والفكرية اتجاهان اثنان: اتجاه محافظ أصيل، واتجاه آخر متأثر بالغرب معجب بالغربيين وبكل ما عندهم، داعٍ إلى أن تكون أمم الشرق، وبخاصة البلاد العربية، مثل أوروبا في كل شيء.

وهذا الاتجاه الأخير كان من أعلامه بعض قادة الأدب وأعلامه في مصر زمن دراسة محمد محمد حسين، وأبرز أولئك "طه حسين"، الذي كان أستاذًا لأديبنا، وفي ظل هذه الظروف انخرط "محمد حسين" في هذا الاتجاه عَلِمَ أو لم يَعْلَمْ، وكتب متأثرًا به، ظهر ذلك جليًا في رسالته (للدكتوراه) التي كانت بعنوان (الهجاء والهجَّاءون) في العصر الجاهلي و صدر الإسلام.

ولكنَّ الله تعالى بِمَنِّه وكرمه فتح بصيرة الرجل، وأثار فكره وقلبه؛ فتبيَّن له زيف ذلك الاتجاه وانحرافه واعوجاجه، فتركه ونحاً منحى آخر، وسلك طريقًا معاكسًا له، سلك مسلك الطبيب الناصح، الذي يدعو للفضيلة بفعله قبل قوله، ويوضح معالم الخير النقي الصحيح، ويفضح خطط الباطل ودعاة الشر، ويرد على مكائدهم وأباطيلهم.

وقد بلغت كتب الدكتور محمد حسين المطبوعة أحدَ عشر كتابًا، وهي:

- الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر (في جزأين).

- الإسلام والحضارة الغربية.

- حصوننا مهددة من داخلها، وأصله مجموعة مقالات شهرية نشرت في مجلة الأزهر المصرية في عامي 1377 هـ، 1378 هـ.

- الهجاء والهجَّاءون في صدر الإسلام، وهذا الكتاب جزء من بحثه في (الدكتوراه).

- الهجاء والهجَّاءون ونفي الجاهلية.

- أساليب الصناعة في شعر الخمر والأسفار، وهذا الكتاب كما يذكر المؤلف في مقدمته فصلان من بحث مرحلة الماجستير.

- شرح وتعليق على ديوان الأعشى الكبير (ميمون بن قيس).

- المتنبي والقرامطة وهذا الكتاب كما يذكر المؤلف في مقدمته في الأصل محاضرة ألقاها في كلية الآداب بالجامعة الليبية بينغازي عام 1383 هـ.

مقالات في الأدب واللغة، وهذا الكتاب يحوي ستة بحوث هي:

- تطوير قواعد اللغة العربية.
  - بين سينية البحتري وسينية شوقي.
  - فقه اللغة بين الأصالة والتغريب.
  - دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب بين التأييد والمعارضة.
  - أثر الأدب الغربي في الأدب العربي المعاصر.
  - اقتراحات للنهوض بمستوى اللغة العربية.
- وقد طبعت تلك البحوث مجتمعة في كتاب واحد بعد وفاة المؤلف، ونشرتها مؤسسة الرسالة في بيروت عام 1409 هـ - 1989م بإشراف ورثة المؤلف.
- كتاب الروحية الحديثة دعوة هدامة، وهو في الأصل محاضرة ألقى في جمعية الشبان المسلمين بالإسكندرية عام 1379 هـ، وكانت بعنوان: الروحية الحديثة حقيقتها وأهدافها.
- كما أن للأستاذ محمد حسين مؤلفات أخرى وكتبًا بعضها لا يزال مخطوطًا، وبعضها طبع مرة واحدة فقط ثم نفذ ولم يعد موجودًا، ومنها:
- رواية الدموع.
  - الأعشى صياغة العرب، بحثه في الماجستير، وهو لا يزال مخطوطًا فيما نعلم.
  - اتجاهات هدامة في الفكر العربي المعاصر، وهو في الأصل محاضرة ألقى في جمعية الشبان المسلمين بالإسكندرية<sup>(1)</sup>.

<sup>(1)</sup> - الموسوعة الحرة ويكيبيديا، تحت رابط <https://ar.wikipedia.org/wiki/>، تاريخ التصفح: 2019/02/10.

الفكرة الأساسية لكتاب الدراسة:

الكتاب بعنوان الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، الجزء الأول، من الثورة العربية إلى قيام الحرب العالمية الأولى.

جاء الكتاب في خمسة فصول.

تتمحور حول البحث في مفهوم الوطنية وانتشاره في العالم العربي والإسلامي قبيل الحرب العالمية الأولى واثناؤها وبعدها. فهو يرى أن كل أقطار العالم العربي مرت بفترة التعلق بفكرة الجامعة الإسلامية، " حين كانت جميعا جزءا من دولة إسلامية كبرى تعتبر امتدادا للخلافة الإسلامية وهي الدولة العثمانية"<sup>(2)</sup>.

وقد ظهرت في تلك الفترة في هذه الدول صراعات بين هذه النزعة الإسلامية الموروثة عن الدولة العثمانية، وبين النزعات القومية الطارئة، هذه الأخيرة التي بدأت تظهر وبشكل جلي في سائر البلاد العربية منذ أوائل القرن الرابع عشر الهجري، أي القرن الواحد والعشرين ميلادي، " وكلها قد دارت فيه معارك حول تصور العروبة: هل هي امتداد للإسلامية السابقة؟ أم هي صورة من القوميات الغربية اللادينية؟ وكلها قد شغل بالبحث والمناقشة حول أمثل الطرق والأساليب للنهوض والاستعادة القوة والتخلص من أسباب الضعف وآثاره. ولم يكد الخلافة فيها جميعا يخرج عن اتجاهات ثلاثة: اتجاه يدعو إلى العودة لينابيع الإسلام الأولى، واتجاه آخر يدعو لاحتذاء الغرب وتتبع خطاه، وثالث يدعو إلى إسلامية متطورة يفسر فيها الإسلام تفسيراً يطابق الحضارة الغربية، ويبرر أنماطها وتقاليدها. وقد شغل بمصير الخلافة الإسلامية وواجب المسلمين إزاء إلغاء الحركة الكمالية للخلافة الإسلامية في تركيا، وكلها قد دارت فيها معارك فكرية وأدبية بين المتمسكين بالتقاليد الإسلامية والعربية وبين الداعين إلى الحضارة الأوروبية والمفتونين بأساليبها وأنماطها"<sup>(3)</sup>.

<sup>(2)</sup> - محمد محمد حسين، الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، الجزء الأول، من الثورة العربية إلى قيام الحرب العالمية الأولى، المطبعة النموذجية بالحلمية الجديدة، مصر، سنة 1962. ص 5 من المقدمة.

<sup>(3)</sup> المصدر نفسه، ص 06.

لقد انقسم المفكرون إلى تيارين اثنين، تيار عروبي متدين يرى أن مفهوم الوطنية يكون في نصرته الإسلام ونصرة الخلافة الإسلامية ممثلة في تركيا. ونظر إلى الصراع بين الشرق والغرب على أنه صراعا بين الإسلام والمسيحية.

أما التيار الثاني فهو تيار المثقفين المتأثرين بالثقافة الغربية، والذين أكدوا على أن الوطنية تكمن في الانتماء إلى الأرض والوطن بالبعد الجغرافي. مقابل الخلافة الإسلامية التي نظروا إليها على أنها هي كذلك استعمار لا يختلف عن الاستعمار الغربي الأوروبي.

ويركز الكاتب على الاتجاهات السياسية والتيارات الثقافية التي ظهرت في هذه الفترة ودعت إلى الاتجاه الوطني من كلا الفريقين، مستنبطاً الأفكار والمعتقدات من النصوص الشعرية والنثرية وربطها بالأحداث التاريخية التي رافقت هذا الابداع، وقد كانت على النحو التالي:

1- الجامعة الإسلامية تقيدها النزعة الدينية المبنية على الولاء لتركيا ويظهر في مدح الشعراء للسلطان عبد الحميد، وظهر هذا الاتجاه أكثر في شعر أحمد شوقي وحافظ إبراهيم وأحمد محرم وعبد الحلیم المصري بالإضافة إلى النثر في أعمال مصطفى كامل.

2- الجامعة المصرية: وهي اتجاه قومي يرى أن الوطنية تقوم على الجنس والعرق لا الدين، ويمثل هذا الاتجاه من الكتاب محمد عبده ومن الشعراء البارودي وصالح مجري يضاف إليهم مصطفى كامل بعد أن اتضحت في ذهنه الأبعاد الوطنية القومية وبدأ يدعو إلى الخلافة العربية.

#### عتبات الكتاب:

يحتوي هذا الكتاب على عتبات متنوعة وثرية، منها الداخلية ومنها الخارجية، وللعتبات أهمية قصوى في تحليل مضامين النصوص والمؤلفات، ولذلك يجب عدم إهمالها، لكن نكتفي ببعض العتبات المهمة مثل:

#### 1- عتبة العنوان: الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر:

لعل أهم عبارة دالة ولافتة في العنوان هي "الأدب المعاصر" رغم أن الكتاب يؤرخ فقط لمصر، ومعنى ذلك أن الكاتب وقع في المركزية المصرية التي ترى بأن تاريخ الأدب الحديث والمعاصر مصري بامتياز.

والمؤلف بنفسه اعترف في مقدمة الطبعة الثانية للكتاب، حيث قال: "وقد كنت أحب أن أنجز في هذه الطبعة للجزء الأول ما وعدت به في تقديم الجزء الثاني من تعميم هذه الاتجاهات لكي تشمل العالم العربي كله وظروفه في تقديري متشابهة في خطوطها الكبرى، يصدق في كل قطر من أقطارها ما صح في مصر"<sup>(4)</sup>.

فهو يتجاوز الخصوصيات التي تميز كل قطر، بل يعتبر بقية الأقطار العربية صورة للنموذج المصري.

## 2- عتبة المقدمة:

للكتاب عدة مقدمات لأنه طبع مرات متكررة لأهميته الكبيرة لدى القراء، وفي مقدمة الطبعة الأولى يقوم الكاتب بتلخيص كتابه بطريقة موجزة ورائعة تجعل من القارئ يأخذ فكرة عامة عن الكتاب قبل أن يقرأه.

## منهج الكتاب:

امتاز الكتاب بالمنهج التاريخي الذي سيطر على الدراسات الأدبية في وقته، يقول محمد محمد حسين: "وليس من البحث العلمي أن يدرس الشاعر منفصلاً عن البيئة التي استمد منها تجاربه"<sup>(5)</sup>، وهذا هو جوهر المناهج السياقية عموماً، والمنهج التاريخي خصوصاً، حيث يعد المبدع ابن بيئته ويعد أدبه انعكاساً للظروف التاريخية.

<sup>(4)</sup> - محمد محمد حسين: الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، مقدمة الطبعة الثانية.

<sup>(5)</sup> - محمد حسين: الاتجاهات الوطنية، مقدمة الطبعة الأولى.

# الفصل الأول

(العرض والتلخيص)

### المبحث الأول: الجامعة الإسلامية: النزعة الدينية في إطار الخلافة الإسلامية.

انبتت الجامعة الإسلامية على فكرة النزعة الدينية (الإسلامية) وهي الغالبة على فكرة النزعة العصبية والجنسية والقومية في مصر، حيث أخذ السلطان عبد الحميد الثاني (1876-1909) "يبحث عن سياسة جديدة تكفل له انتشار الدولة العثمانية من تلك الأزمات وتجعلها أكثر قوة وصموداً بوجه الحملة الاستعمارية الأوروبية على الصعيدين الداخلي والخارجي فوجد من الضروري العمل بسياسة الجامعة الإسلامية"<sup>(6)</sup>

لقد أراد السلطان عبد الحميد من خلال سعيه هذا العودة إلى التمسك بالإسلام فعبّر عن ذلك بقوله " إن القوة الوحيدة التي ستجعلنا واقفين على اقدمنا هي الإسلام (..) إننا أمة قوية بشرط أن نكون مخلصين لهذا الدين العظيم"<sup>(7)</sup>.

جاءت الدعوة إلى سياسة الجامعة الإسلامية تعبيراً عن فشل حركة الإصلاحات التي تبنتها الدولة العثمانية بعد الضغوط التي مارستها عليها الدويلات الأوروبية، حيث بدأ السلطان عبد الحميد دعوته هذه بعد انتهاء الحرب الروسية العثمانية، أين "كانت روسيا لا تنقطع عن إثارة الفتنة بين دول البلقان وتآليبهم على الحكم التركي ومدّهم بالسلاح بدعوى التخلص من حكم المسلمين"<sup>(8)</sup>. لقد عارض العديد من رجالات السياسة غير المسلمين سياسة السلطان عبد الحميد، من أمثال الملكة فيكتوريا وجلادستون زعيم حزب الأحرار بإنجلترا، فألف الرسائل وألقى الخطب، نسب فيها اضطهاد المسيحيين إلى السلطان عبد الحميد. وهذا هو " اللورد كرومر سكرتير سفارة إنجلترا في الأستانة يكتب تقريراً مطولاً عن المسألة البلقانية، (...) ينسب فيه إلى المسلمين ارتكاب جرائم بشعة في حق المسيحيين للانتقام منهم وعليه يجب أن يعود الحكم في جميع الأقاليم إلى المسيحيين أنفسهم"<sup>(9)</sup>.

<sup>(6)</sup> - نصير خير الله محمد التكريتي، أضواء على موقف مصر من حركة الجامعة الإسلامية 1882-1908، مجلة جامعة تكريت للعلوم، العراق، المجلد (18)، العدد (8)، أيلول 2011. ص 113.

<sup>(7)</sup> - محمد عبد الرحمن يونس العبيدي، السلطان عبد الحميد الثاني والجامعة الإسلامية، (1876-1909)، رسالة ماجستير غير منشورة قدمت إلى كلية التربية، جامعة الموصل، سنة 2000. ص 28، 33.

<sup>(8)</sup> - محمد محمد حسين، (مص. س)، ص 2.

<sup>(9)</sup> - المصدر نفسه، ص 2.



ويستطرد الكاتب بقوله أنّ المتأمل في الحياة الثقافية والأدبية في مصر في تلك الفترة المضطربة، يجد ذلك واضحاً من خلال الكتابات الشعرية أو النثرية. فقد جاء في جريدة العروى الوثقى التي أنشأها جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده في مارس 1884 مجموعة من المقالات تحث المسلمين على الاتحاد ورفض صفوف المسلمين لمواجهة هذه الحملة الشرسة ضد السلطان عبد الحميد عموماً والإسلام خصوصاً، حيث جاء في إحدى المقالات المعنونة بـ(الجنسية والديانة الإسلامية) "وازع المسلمين في الحقيقة شريعتهم المقدسة الإلهية، التي لا تميز بين جنس وجنس، واجتماع آراء الأمة. وليس للوازع أدنى امتياز عنهم إلا بكونه أحرصهم على الشريعة والدفاع عنها. وكل فخار تكسبه الأنساب، وكل امتياز تفيده الأحساب، ولم يجعل له الشارع أثر في وقاية الحقوق وحماية الأرواح والأموال والأعراض. بل كل رابطة سوى رابطة الشريعة الحقة، فهي ممقوتة على لسان الشارع، والمعتمد عليها مذموم، والمتعصب لها ملوم، فقد قال صلى الله عليه وسلم (ليس منا من دعى إلى عصبية، وليس منا من قاتل على عصبية، وليس منا من مات على عصبية). (...). فقام في أمر المسلمين في كثير من الأزمان على اختلاف الأجيال من لا شرف في جنسه، ولا امتياز له في قبيلة، ولا ورث الملك عن أبائه، ولا طلبه بشيء من حسبه ونسبه. وما رفعه إلى منصة الحكم إلا خضوعه للشرع وعنايته بالمحافظة عليه (...). هذا ما ارشدتنا إليه سير المسلمين من يوم نشأة دينهم إلى الآن، لا يعتدون برابطة الشعوب وعصبية الأجناس، وإنما ينظرون إلى جامعة الدين. ولهذا ترى العربي لا ينفر من سلطة التركي، والفرسي يقبل سيادة العربي، والهندي يدعن لرياسة الأفغاني، إلخ" (10) ويكتب جمال الدين الأفغاني رداً على من يتعصبون للوطن ويحطون من العصبية الدينية، "فيرميهم بالغفلة وبأنهم أبواق المستعمر الذي يحاول توهين العصبية الدينية ليقطع الرابطة التي تجمع بين شعوبها" (11).

وعلى طريقته يسير مصطفى كامل الذي قام بالدعوة لسياسة الجامعة الإسلامية ومساندتها إذ عمل على تشجيع العلاقة بين مصر والدولة العثمانية (بالسلطان العثماني)، حيث يقول "نحن نود أن نكون قوة متحالفة للدولة العثمانية ننصرها وتنصرنا ونعتز بها، وأكد على أهمية الترابط الديني بين

(10) - محمد محمد حسين، (مص. س)، ص 4.

(11) - المصدر نفسه، ص 5.

المسلمين، وساند السلطان عبد الحميد الثاني وجهوده في العمل بسياسة الجامعة الإسلامية<sup>(12)</sup>. ويقول كذلك في كتابه (المسألة الشرقية) سنة 1898 " وإني أضرع الى الله فاطر السماوات والأرض من فؤاد مخلص وقلب صادق، أن يهب الدولة العلية القوة الأبدية والنصر السرمدى، ليعيش العثمانيون والمسلمون مد الدهر في سؤدد ورفعة "<sup>(13)</sup>.

ناصر مصطفى كمال الدولة العثمانية في حربها ضد اليونان سنة 1897م، فظم حملة تبرعات لفائدة الجيش العثماني، فاستجاب له الشعب العربي في مصر وذلك بدعم من الحركة الوطنية المصرية، تعبيرا عن رفض الاحتلال البريطاني. وأشار مصطفى كامل إلى ذلك بقوله " إن أهم معنى سياسي لاكتتاب المصريين لإعانة الجيش العثماني هو القيام بمظاهرة من الأمة بأسرها ضد الاحتلال البريطاني "<sup>(14)</sup>.

ويقول في تمجيد السلطان عبد الحميد " وإن أعظم سلطان جلس على أريكة ملك آل عثمان ووجه عناية لإبطال مساعي الدخلاء وتطهير الدولة من وجودهم هو جلالة السلطان الحالي. فقد تعلم من حرب سنة 1877 وما جرى فيها أن الدخلاء بلية البلايا في الدولة ومصيبة المصائب. فعمل بحكمته العالية على تبديد قوتهم وتربية الرجال الذين يرفعون شأن الدولة ويعملون لإعلاء قدرها "<sup>(15)</sup>. لقد لقيت مواقف كامل مصطفى معارضة شديدة من قبل خصومه، اذ يرون في موقفه هذا ليس هدفه استقلال مصر بل هو دعوة لإعادتها الى حظيرة السلطنة العثمانية، غير ان مصطفى كامل كان يرى في ارتباط مصر بالدولة العثمانية وسيلة للتخلص من نير الاستعمار البريطاني. فبقاء الدولة العليا أمر ضروري، وأن بقاء سلطانها سلامة أمم الغرب والشرق.

كذلك أسس مصطفى كامل سنة 1900 صحيفة اللواء في مواصلة تأييده للجامعة الإسلامية. ففي رده على الأوربيين الذين أساءوا فهم هدف الجامعة الإسلامية. "لقد فسرت كلمة الجامعة الإسلامية في أوروبا تفسيرا لا يتفق ومعناها الحقيقي . . . . . أن حركة الجامعة الإسلامية بالمعنى المقصود

<sup>(12)</sup> - نصير خير الله محمد التكريتي، (مر. س)، ص 116.

<sup>(13)</sup> - محمد محمد حسين، (مص. س)، ص 6.

<sup>(14)</sup> - محمد عبد الرحمن يونس العبيدي، (مر. س)، ص 57. عن نصير خير الله محمد التكريتي، (مر. س)، ص 117.

<sup>(15)</sup> - مصطفى كامل، المسألة الشرقية، عن محمد محمد حسين، (مص. س)، ص 7.

منها في أوروبا أي الحرب الدينية لا وجود لها بالمرّة... أمّا الشعور الموجود، وبلا نزاع عند كافة الشعوب الإسلامية فهو شعور عاطفتها وحنانها لبعضها البعض، فكل مسلم يرغب من صميم فؤاده أن يرى أبناء دينه يعاملون أحسن من المعاملة الحالية ويعتبرون كجزء حي من الإنسانية ومحترمين في كل مكان ومن كل إنسان... وان ميل كل مسلم لأبناء دينه أمر طبيعي وشرعي، ولا يوجد رجل منصف ينتقد ذلك الميل<sup>(16)</sup>. وينتقل الكاتب إلى محمد فريد<sup>(\*)</sup> حتى لا ينساه، فهم وخليفة كامل مصطفى الذي كان متفقا معه في أن مصلحة مصر في ذلك الوقت تدعو إلى مؤازرتها لتركيا، فذلك هو السبيل الأوحى لمناهضة المستعمر البريطاني، وبدأت بذلك اتجاهات الجامعة الإسلامية عند محمد فريد " تأخذ مجراها الفكري والسياسي عندما بدأ يشارك المثقفين أو الوطنيين المصريين في مواقفهم العملية المتمثلة بدعم الدولة العثمانية في حربها مع اليونان سنة 1897، ورأى في نجاح ذلك وإقبال المصريين عليها دليل على زيادة إحساساتهم العملية نحو الجامعة الإسلامية، وكان موقفه حازما تجاه حالة النفور تزداد والهوة تتسع بين محمد فريد وبين الخديوي إسماعيل وزاد تعلقه بالدولة العثمانية ومؤازرتها في مواجهة الأطماع الاستعمارية في مصر والمشرق العربي"<sup>(17)</sup>.

لقد ازدادت شعبية الحزب الوطني حامل لواء الدعوة للجامعة الإسلامية، على الرغم من توقع أعدائه بالفشل بعد وفاة زعيمه كامل مصطفى، " وقد تمثل ذلك في حركة العرائض التي قادها محمد فريد على أثر رد مجلس الوزراء على طلب الجمعية العمومية بإنشاء مجلس نيابي، والذي حمل ما اعتبره محمد فريد إهانة للأمة المصرية"<sup>(18)</sup>.

لقد كانت للنزعة الإسلامية الأثر الكبير في أدبيات قادة ومفكري تلك الفترة في مصر، كما صبغت هذه الفكرة كذلك في أعمال الشعراء، "فليس بين الشعراء المعاصرين وقتذاك، على اختلاف

<sup>(16)</sup> - نصير خير الله محمد التكريتي، (مر. س)، ص 117.

<sup>(\*)</sup> - يعد محمد فريد أحد أبرز الوطنيين المصريين، ولا سيما أنه ترأس زعامة الحزب الوطني عام 1908 بعد وفاة مصطفى كامل، حيث يكاد يتشابه في أفكاره وآرائه إلى حد كبير مع الآراء الفكرية التي طرحها مصطفى كامل.

<sup>(17)</sup> - نصير خير الله محمد التكريتي، (مر. س)، ص 118.

<sup>(18)</sup> - المرجع نفسه، ص 118.

وتباين نزعاتهم، من يخلو ديوانه من شعر في مدح الخليفة التركي، والإشادة بفضله على المسلمين، وحرصه على إعلاء كلمة الدين<sup>(19)</sup>.

فشارك العديد من الشعراء في حرب تركيا على اليونان، وفي حربها على طرابلس، وكذلك الحرب على البلقان، وهم يرون أن الخليفة العثماني هو الجامع لشمل المسلمين " وهم يدعون إلى اتحاد كلمة المسلمين في ظل راية الخلافة، محذرين من الإصغاء إلى دعوة التفرقة التي لا تصيب الأمم الإسلامية جميعاً إلا بالشر<sup>(20)</sup>.

يقول أحمد شوقي في هذا الصدد:

رَضِيَ المسلمون والإسلام \*\*\* فرع عثمان. دُمَ فذاك الدوام  
إيه عبد الحميد جلَّ زمان \*\*\* أنت فيه خليفة وإمام  
عُمر أنت، بيد أنك ظل \*\*\* للبرايا وعصمة وسلام  
ما تتوجت بالخلافة حتى \*\*\* تُوج البائسون والأيتام  
ولأنت الذي رعيتَه الأسد ومرسى ظلالها الآجام  
أمة الترك والعراق وأهلوه \*\*\* هـ ولبنان والربى والخيام  
عالم لم يكن ليُنظَم لولا \*\*\* أنك السِّلم وسطه والوثام<sup>(21)</sup>

ويقول كذلك حافظ إبراهيم في ديوانه في ذكرى عيد تأسيس الدولة العثمانية سنة 1906.

لقد مكن الرحمن في الأرض دولة \*\*\* لعثمان لا تغفو ولا تتشعب  
وقام رجال بالإمامة بعده \*\*\* فزادوا على ذاك البناء وطنبوا  
وردوا على الإسلام عهد شبابه \*\*\* ومدوا له جاها يُرجى ويرهب<sup>(22)</sup>

وهذا محمد عبد المطلب يمدح عبد الحميد ويهنئه بالدستور في سنة 1908 بقصيدة يقول في أولها  
يا عيد حي وأنت خير نهار \*\*\* عبد الحميد بدولة الأحرار

<sup>(19)</sup> - محمد محمد حسين، (مص. س)، ص 11.

<sup>(20)</sup> - المصدر نفسه، ص 12.

<sup>(21)</sup> - ديوان أحمد شوقي ص 296. عن محمد محمد حسين، (مص. س)، ص 12.

<sup>(22)</sup> - ديوان حافظ إبراهيم ص 17. عن محمد محمد حسين، (مص. س)، ص 12.

ملك أقام على الخلافة منهم \*\*\* حرسًا وقاها صولة الأشرار

من بعد ما كاد الزمان يجلها \*\*\* بالجور دار مذلة وبوار

لولا أمير المؤمنين يحوطها \*\*\* لرأيتها خبرا من الأخبار (23)

ويقول في قصيدة أخرى بعد ما أعلنت بريطانيا الحماية على دولة مصر سنة 1914، حيث بدأها:

هلال الهدى في دارة المجد أشرف \*\*\* ودونك ليل ألغي بالرشد فامحق

ويا علم الأعلام كم خفقت قلو \*\*\* ب قوم إلى مرأى حفافيك فاخفق

وراح يصور سوء حال مصر، وما مس أهلها " إذ يساقون مرغمين إلى الموت، مقاتلين تحت الراية البريطانية" (24). قائلاً:

فأبلغ بني التاميز عنا وحلفهم \*\*\* بباريس أنباء النذير المصدق

عشية يحدون الأساطير شُرْعاً \*\*\* على اليم تجبو في الحديد المطبَّق

تشن على دار الخلافة غاره \*\*\* من البحر إن تفرع بها الدهر يفرق

تألفن بالعدوان، يجرين باسمه \*\*\* إلى غرض من مُدَحِّص الهون مزلق

فأقبلن في شمل من البغي جامع \*\*\* وعدن بشمل بالهوان مفرق (25)

كما بين الكاتب في معرض حديثة هذا أن الشعراء المعاصرين لهذه الحقبة يعلقون على تركيا آمالا كبيرة، فيقدمون الولاء لخليفة المسلمين في شتى المناسبات، ويشكون إليه ما لحقهم من ضرر، متمنين تدخله لمؤازرتهم، بل هو واجب على رعيته، ويقسون عليه في تأخره في مساعدتهم. وها هو أحمد شوقي يقول:

عالي الباب، هزَّ بابك منا \*\*\* فسعينا وفي النفوس مرَّام

وتجليت فاستلمنا كما لنا \*\*\* س بالركن ذي الجلال استلام

نستميح الامام نصرًا لمصر \*\*\* مثلما ينصر الحسام الحسام

(23) - محمد محمد حسين، (مص. س)، ص 15.

(24) - المصدر نفسه، ص 15.

(25) - نفسه، ص 16.

فلمصر - وأنت بالحب أدري - \*\*\* بك يا حامي الحمى استعصام  
يشهد الله للنفوس بهذا \*\*\* وكفاها أن يشهد العلام  
وإلى السيد الخليفة نشكو \*\*\* جور دهر أحراره ظلام  
أما حافظ إبراهيم يقول في قصيدة شكى فيها نوب الزمان، ويكي المجد الضائع سنة 1910، معاتباً  
على العثمانيين حال المصريين في ظل الاحتلال البريطاني.  
فإن تكن نسبتى للشرق مانعتي \*\*\* خطأ؛ فوهاً لمجد الترك والعرب  
وقاضيات لهم في الشرق ما هدمت \*\*\* حتى علاها رماد الختل والكذب  
متى أرى النيل لا تحلو موارده \*\*\* لغير مرتقب في الله مرتقب<sup>(26)</sup>  
وقد كان الشعراء كذلك لسان حال المصريين الذين يقولون بان الذريعة التي تقدمها الدول  
الأوروبية حين تتذرع بالدين، لأجل حماية الأقليات، كانت تثير الفتن لأجل تقسيم الإمبراطورية  
العثمانية، أي أنهم كانوا يخفون مطامعهم السياسية تحت غطاء الدين.  
يقول عن هذا الأمر أحمد شوقي في ديوانه وهي قصيدة في الدستور العثماني سنة 1908.  
هب النسيم على مقدونيا برداً \*\*\* من بعدما عصفت جمر أسوافيها  
تغلى بساكنها ضغنا ونائراً \*\*\* غلي الصدور إذا ثارت دواعيها  
عائت عصائب فيها كالذئاب عدت \*\*\* على الأقطيع لما نام راعيها<sup>(27)</sup>  
وكذلك يقول الكشاف، في قصيدة له في حرب البلقان سنة 1913، يصور فيها الجرائم التي  
ارتكبتها أمم البلقان المسيحية ضد جرائم المسلمين.  
صلبية يا قوم أم عنصرية \*\*\* حروبكم؟ والدين هذا أم الشِّرك؟  
وجيرانكم أعدائكم أم حمائكم؟ \*\*\* وأعداء عيسى المسلمون أم الترك؟  
فهل كان عيسى يطلب الثأر بالحنأ \*\*\* وهل كان من أخلاقه البغي والفتك؟  
أقرُّ بأضغان النفوس ملوككم \*\*\* ومن كان في شك فقد ذهب الشك<sup>(28)</sup>

<sup>(26)</sup> - محمد محمد حسين، (مص. س)، ص 17.

<sup>(27)</sup> - ديوان احمد شوقي، عن محمد محمد حسين، (مص. س)، ص 22.

<sup>(28)</sup> - محمد محمد حسين، (مص. س)، ص 22.

هكذا كان الشعراء في تلك الفترة يثرون ضد كل من يمس المسلمين بسوء حيث ما كانوا، ويرفعون أصواتهم في كل نازلة تلم بوطن الخلافة. يشيدون في ذلك بانتصارات الترك الذين أعلنوا من راية الإسلام وصانوا والخلافة.

يقول أحمد شوقي في ملحمة:

بسيئك يعلو الحق والحق أغلب \*\*\* وينصر دين الله أيا ن تضرب<sup>(29)</sup>

عادت هذه الحرب إلى الناس ثققتهم بالخلافة العثمانية بعد أن " كانوا يعتقدون - تحت تأثير الصحف الموالية للاستعمار كالمقطم - أنها قد صارت إلى حال من الضعف والانحلال، لا تستطيع معها مناهضة اليونان، حتى لقد علا بعضهم بعد هذا النصر فتصور أنها من أقوى الدول وأنها تقدر على تدويخ أي دولة أوروبية"<sup>(30)</sup>. وهذا بفضل الدستور الذي أطفأ الفتن، بعد أن " سكنت اليه الشعوب العثمانية على اختلاف أديانها وأجناسها"<sup>(31)</sup>.

غير أنه وبعد عزل السلطان عبد الحميد الثاني سنة 1909، انقلب حافظ إبراهيم على الخليفة " ممجدا الجيش الذي تم على يده هذا الانقلاب الذي عم خيره كل البلاد العثمانية كما توهم"<sup>(32)</sup> قائلا:

أجل هذه أعلامه ومواكبه \*\*\* هنيئاً لهم فليسحب الذيل ساحبه  
هنيئاً لهم فالكون في يوم عيدهم \*\*\* مشاركته وضاءه ومغاريه  
رعى الله شعباً جمع العدل شمله \*\*\* وتمت على عهد الرشاد رغائبه  
تحالف في ظل الهلال إمامه \*\*\* وحاخامه - بعد الخلاف - وراهبه  
ثم يقول:

ليهنيئ أمير المؤمنين محمد \*\*\* خلافته فالعرش سعد كواكبه  
ستملك أمواج البحار سفينة \*\*\* كما ملكت شمّ الجبال كتائبه

<sup>(29)</sup> - ديوان أحمد شوقي، عن محمد محمد حسين، (مص. س)، ص 26.

<sup>(30)</sup> - ديوان الأستاذ الإمام، ص 911، عن محمد محمد حسين، (مص. س)، ص 27.

<sup>(31)</sup> - محمد محمد حسين، (مص. س)، ص 27.

<sup>(32)</sup> - المصدر نفسه، ص 28.

ممالكه محروسة وثغوره \*\*\* ركائبه منصورة ومراكبه

ويعود عزل عبد الحميد الثاني الى الفتن في العراق واليمن، والتي تضاف الى متاعب حرب البلقان، " وأن الخلافة لمن يحميها وأن أعبائهم لا ينهض بها إلا أقواهم، وبأن العصبية ليست من الإسلام، مؤكدا حبه وولائه لدولة الإسلام وخليفة المسلمين، الذي تتجه إليه وحده أبصارهم في سائر بقاع الأرض" (33).

فسرعان ما ألغى عبد الحميد الثاني الدستور الذي أصدره كارها، وذلك " بعد حملة صحفية شنت بزعامة الاتحاديين وبينت فساد دينهم. ويلجأ زعماء الاتحاديين في الجيش إلى العنف، فيقتحمون الأستانة ويحاصرون يلدز، ويشتبكون مع رجال عبد الحميد في معركة كبيرة تنتهي بالتسليم. ثم يقبضون على أنصاره ويعدمون منهم عدداً كبيراً يزيد على الألف. وتجتمع الجمعية العمومية - كان الاتحاديون هم المسيطرين عليها - فتقرر عزل السلطان عبد الحميد وتولية السلطان محمد رشاد في 27 أبريل 1909.

وعند ذاك ترتفع أصوات الشعراء في مصر، بين مشفق على عبد الحميد يرثي له في بلواه، وعاتب عليه سوء سياسته التي انتهت به الى هذا المصير، وشامت به يشنع بما لقي خصومه على يديه من نكال" (34).

وقد رثاه أحمد شوقي في ديوانه قائلاً:

سل يلدزاً ذات القصر \*\*\* هل جاءها نبأ البدور

وهذا ما آل اليه من ذل بعد جاه وعز. ثم قال:

شيخ الملوك وإن تضع \*\*\* ضع في الفؤاد وفي الضمير

نستغفر المولى له \*\*\* والله يعفو عن كثير

ونراه عند مصابه \*\*\* أولى بباك أو غدير

ونصونه ونجله \*\*\* بين الشماتة والنكير

<sup>33</sup>- محمد محمد حسين، (مص. س)، ص ص 28، 29.

<sup>34</sup>- المصدر نفسه، ص 30.



عبد الحميد حساب مث \*\*\* لك في يد الملك الغفور<sup>(35)</sup>

ثم عاتب عليه تمسكه بالحكم الفردي ومحاربه نظام الشورى وهو يقول:

هو حكمة الملك الرشيد \*\*\* سد وعصمة الملك الغير<sup>(36)</sup>.

كما ندد شوقي بمن يستغلون الدين في مواجهة الأبرياء والمدنيين والتنكيل بهم، " فارتكبوا باسم المسيحية أبشع الآثام والمسيحية منهم براء، فما كان المسيح سفاكا للدماء (... ) وانما كان داعيا للرحمة"<sup>(37)</sup> إذ يقول:

أخذ المدائن والقرى بخناقها \*\*\* جيش من المتحالفين هأم

تمشي المناكر بين أيدي خيله \*\*\* أنى مشى، والبغي، والإجرام

ويحته باسم الكتاب أقسة \*\*\* نشطوا لما هو في الكتاب حرام

عيسى سبيلك رحمة ومحبة \*\*\* في العالمين وعصمة وسلام

ما كنت سفاك الدماء ولا امرأ \*\*\* هان الضعاف عليه والأيتام

يا حامل الآلام عن هذا الورى \*\*\* كثرت عليهم باسمك الآلام

واليوم يهتف بالصليب عصائب \*\*\* هم للإله وروحه ظلام

خلطوا صليبك والخناجر والمدى \*\*\* كل أداة للأذى وجمام

أوما تراهم ذبحوا جيرانهم \*\*\* بين البيوت كأنهم أغنام

أما حافظ إبراهيم فقد كان متعاطفا مع السلطان عبد الحميد، ولم يذكر له إلا الحسانات، إذ يقول:

لا رعى الله عهدا من جدود \*\*\* كيف امسيت يا ابن عبد الحميد<sup>(\*)</sup>

كنت ابكي بالأمس منك، فمالي \*\*\* بت أبكي عليك عبد الحميد

فرح المسلمون قبل النصارى \*\*\* فيك قبل الدرور قبل اليهود

شمتوا كلهم، وليس من الهمة \*\*\* لة أن يشمت الورى في طريد

<sup>(35)</sup> - محمد محمد حسين، (مص. س)، ص 30.

<sup>(36)</sup> - المصدر نفسه، ص 30.

<sup>(37)</sup> - نفسه، ص 41.

أنت عبد الحميد والتاج معقو \*\*\* دُ وعبد الحميد رهن القيود  
خالد أنت رغم أنف الليالي \*\*\* في كبار الرجال أهل الخلود  
أما عن ذكر الحسانات

لك في الدهر - والكمال محال - \*\*\* صفحات ما بين بيض وسود  
حاولوا طمس ما صنعت وودوا \*\*\* لو يطيقون طمس خط الحديد (38)  
غير أنه وبعد ان يفيق من ذهوله، يعود حافظ فيهاجم عبد الحميد قائلاً:  
ولم يغن عن عبد الحميد دهاؤه \*\*\* ولا عصمت عبد الحميد تجاربه  
ولم يحميه حصن ولم تَرْمِ دونه \*\*\* دنانيه والأمرُ حازبه (39)

"أما الشاعر محرم فالوفاء يغلب عليه في قصيدته. وهو يرى الناس الذين كانوا يتزلفون إلى عبد الحميد بالأمس، ولا يرونه إلا خيراً خالصاً يأكلون لحمه اليوم ولا يرونه إلا شراً صرفاً" (40).  
لم يكن الذين نادوا بفكرة الجامعة الإسلامية والرابطة العثمانية مؤيدين للنفوذ التركي في مصر، بقدر ما مناوئة للاستعمار، أو بدافع الغيرة الدينية، فهم يرون ان مصر كيان مستقل. وكان على رأس هؤلاء: محمد عبده ومصطفى كامل وعبد الله النديم وكثيرون. يقول محمد عبده: "إنه يكره السلطان ولكن لا يوجد مسلم يرد بالدولة سوءاً فإنها سياج في الجملة وإذا سقط نبقى نحن المسلمين كاليهود بل أقل لأن لليهود عندهم شيء يحافظون عليه وهو المال ونحن لم يبق عندنا شيء .. فقدنا كل شيء" (41).

<sup>38</sup> - محمد محمد حسين، (مص. س)، ص 31.

<sup>39</sup> - المصدر نفسه، ص 32.

<sup>40</sup> - نفسه، ص 32.

<sup>41</sup> - عبد الرحمن عبد الواحد الشجاع، اختصار كتاب الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، (د. ط)، 2011. ص 22.

### المبحث الثاني: الجامعة المصرية وفكرة القومية

في هذا الفصل يتحدث المؤلف عن الخطوات التي مرت بها القومية المصرية، اذ يربط هذه الفكرة بالاتجاه العالمي الذي عرفته أوروبا باسم القومية، وتعود فكرة نشأة القومية إلى الاستعمار الأوروبي الذي اجتاحت كل الدول الإفريقية والأمريكيتين.

تغذت الفكرة القومية في بداية الأمر من حروب أمريكا في سبيل استقلالها من أبناء جنسهم، وكذلك بأفكار الثورة الفرنسية في نهاية القرن الثامن عشر.

هكذا جاءت فكرة القومية المصرية القائمة على الجنس لا على الدين أي الاهتمام المصالح المصرية ومعالجتها شكل مستقل عن مشاكل الدولة العثمانية والأقطار الإسلامية، " كانت هذه الدعوى صدى للاتجاه العالمي نحو فكرة القومية في القرن التاسع عشر. وكان المبشرين بهذه الدعوى في مصر متأثرين تأثرا واضحا بالتفكير الأوروبي كما يبدو في خطبهم (...). ولعل من أوضح الشواهد على ذلك ما جاء في مقال لعبد العزيز جاويش نشره في صحيفة العَلَم سنة 1910 بعنوان الحركة الوطنية في مصر، حيث يقول: إن الشعور بالوطنية اصطلاح فرنكي انتقلت بذوره على الشرق من مطاوي العلوم العصرية وأصول المدنية الحديثة التي اهتدى إليها أهل الغرب"<sup>(42)</sup>.

وتعود نشأة القومية المصرية الى ما قبل الثورة العرابية التي أصبحت بعد ذلك صوتها القوي وقوتها المنفذة.

وتمثلت هذه الدعوة في العديد من القنوات السياسية الإعلامية:

- جمعية مصر الفتاة السرية التي تألفت في الإسكندرية وأصدرت بدوها صحيفة باسمها للدعوة الى الحرية.

- كذلك جمعية تركيا الفتاة التي كان لها دور في تحريك الانقلاب العسكري لخلع السلطان عبد الحميد.

- بالإضافة الى ذلك برزت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر صحف تنتقد سياسة الحكومة وتندد بتفريطها في حقوق البلاد، وكان من بينها صحفتي (مصر) و(التجارة) لأديب إسحاق.

<sup>(42)</sup> - محمد محمد حسين، (مص. س)، ص ص 51، 52.

وخير ما يصور هذه الدعوة في تلك الفترة مقال محمد عبده نشرته الوقائع المصرية في 28 نوفمبر سنة 1881 داعيا فيه إلى حب الوطن والذود عنه ضاربا المثل بفرنسا التي كان شعبها يعاني النظام الإقطاعي يقول فيه: "الوطن في اللغة محل الإنسان مطلقا، فهو السكن بمعنى: استوطن القوم هذه الأرض وتوطنوها: أي اتخذوها سكنا. وهو عند أهل السياسة مكانك الذي تنسب إليه، ويحفظ حقه فيه ويعلم حقه عليك، وتأمين فيه على نفسك وآلك ومالك. ومن أقوالهم فيه: لا وطن الا مع الحرية. وقال لابرويز الحكيم الفرنسي: لا وطن في حالة الاستبداد، ولكن هناك مصالح خصوصية ومفاخر ذاتية ومناصب رسمية"<sup>(43)</sup>. والمتتبع لمقولة محمد عبده حول الوطنية يجدها مختلطة بالدين، " وهذا ما كان ملاحظاً في أذهان كثير من الناس في ذلك الوقت من الأدباء والشعراء"<sup>(44)</sup>.

وقد عبر عن هذا البارودي وهو في منفاه بقوله:

لَمْ أَتَرَفْ زَلَّةً تَقْضِي عَلَيَّ بِمَا \*\*\* أَصْبَحْتُ فِيهِ فَمَاذَا الْوَيْلُ وَالْحَرْبُ  
فَهَلْ دَفَاعِي عَن دِينِي وَعَن وَطَنِي \*\*\* ذَنْبٌ أَدَانُ بِهِ ظُلْمًا وَأَعْتَرِبُ  
فَلَا يَظُنُّ بِي الْحَسَادُ مَنْدَمَةً \*\*\* فَإِنِّي صَابِرٌ فِي اللَّهِ مُحْتَسِبُ  
أَثْرَيْتُ مَجْدًا فَلَمْ أَعْبَأْ بِمَا سَلَبَتْ \*\*\* أَيَدِي الْحَوَادِثِ مِنِّي فَهَوَ مُكْتَسَبُ  
لَا يَخْفِضُ الْبُؤْسُ نَفْسًا وَهِيَ عَالِيَةٌ \*\*\* وَلَا يُشِيدُ بِذِكْرِ الْحَامِلِ النَّشْبُ  
إِنِّي أَمْرٌ لَا يُرْدُ الْخَوْفُ بَادِرَتِي \*\*\* وَلَا يَحِيفُ عَلَيَّ أَخْلَاقِي الْعَضْبُ  
مَلَكَتْ حِلْمِي فَلَمْ أَنْطِقْ بِمَنْدِيَّةٍ \*\*\* وَصُنْتُ عِرْضِي فَلَمْ تَعْلُقْ بِهِ الرَّيْبُ  
وَمَا أَبَالِي وَنَفْسِي عَيْرٌ خَاطِئَةٌ \*\*\* إِذَا تَحَرَّصَ أَقْوَامٌ وَإِنْ كَدَّبُوا

### الوطنية بالمفهوم العلماني

لقد كان هذا النوع من الوطنية قد بدأ قبيل الثورة العرابية، وقد كانت هذه الأخيرة نتيجة التسلط التركي العثماني، وأنها " كانت تستهدف إنشاء وإثارة رابطة عاطفية بين المصري ووطنه تحفزه على الاهتمام بأمره والعمل على رفعته، وأداء واجبه نحوه من جهة، والمطالبة بحقه من جهة أخرى"<sup>(45)</sup>.

<sup>(43)</sup> - محمد محمد حسين، (مص. س)، ص 53.

<sup>(44)</sup> - عبد الرحمن عبد الواحد الشجاع، (مر. س)، ص 28.

<sup>(45)</sup> - محمد حسين، (مص. س)، ص 58.

ويعتبر البارودي أحسن من عبر عن هذا اللون من التفكير عن الوطنية رفع الظلم عن الشعب،

حيث يقول:

حلبتُ أشطرَ هذا الدهرِ تجربةً \*\*\* ودُقْتُ مَافِيهِ مِنْ صَابٍ، وَمِنْ عَسَلٍ  
فَمَا وَجَدْتُ عَلَى الْأَيَّامِ بَاقِيَةً \*\*\* أَشْهَى إِلَى النَّفْسِ مِنْ حُرِّيَّةِ الْعَمَلِ  
لكننا غرضٌ للشرِّ في زمنٍ \*\*\* أهلُ الْعُقُولِ بِهِ فِي طَاعَةِ الْحَمَلِ  
قامتْ بِهِ مِنْ رِجَالِ السُّوءِ طَائِفَةٌ \*\*\* أدهى على النفسِ مِنْ بؤسِ على ثكلِ  
مِنْ كَلِّ وَغَدٍ يَكَادُ الدَسْتُ يَدْفَعُهُ \*\*\* بُغْضًا، وَيَلْفِظُهُ الدِّيَوَانُ مِنْ مَلَلِ  
ذَلَّتْ بِهِمْ مِصْرُ بَعْدَ الْعِزِّ، وَاضْطَرَبَتْ \*\*\* قَوَاعِدُ الْمَلِكِ، حَتَّى ظَلَّ فِي خَلَلِ  
وَأَصْبَحَتْ دَوْلَةٌ «الْفُسْطَاطِ» خَاضِعَةً \*\*\* بَعْدَ الْإِبَاءِ، وَكَانَتْ زَهْرَةَ الدُّوَلِ  
بِئْسَ الْعَشِيرُ، وَبِئْسَتْ مِصْرُ مِنْ بَلَدٍ \*\*\* أَضَحَتْ مَنَاخًا لِأَهْلِ الزُّورِ وَالخَطَلِ  
أَرْضٌ تَأْتَلُ فِيهَا الظُّلْمُ، وَانْقَدَتْ \*\*\* صَوَاعِقُ الْغَدْرِ بَيْنَ السَّهْلِ وَالْجَبَلِ  
وَأَصْبَحَ النَّاسُ فِي عَمِيَاءٍ مُظْلِمَةٍ \*\*\* لَمْ يَخْطُ فِيهَا امْرُؤٌ إِلَّا عَلَى زَلَلِ  
لَمْ أَذِرْ مَا حَلَّ بِالْأَبْطَالِ مِنْ حَوَرٍ \*\*\* بَعْدَ الْمِرَاسِ، وَبِالْأَسْيَافِ مِنْ فَلَاحِ  
أَصَوَّحَتْ شَجَرَاتُ الْمَجْدِ، أَمْ نَضَبَتْ \*\*\* غَدْرُ الْحَمِيَةِ حَتَّى لَيْسَ مِنْ رَجُلٍ؟  
لَا يَدْفَعُونَ يَدَاعِنَهُمْ، وَلَوْ بَلَّغَتْ \*\*\* مَسَّ الْعَفَافَةِ مِنْ جَبَنِ، وَمِنْ خَزَلِ (46)

تطورت فكرة الوطنية على أيدي أصحاب الثقافة الأوروبية، وراحت تهاجم الرابطة الدينية وتعتبرها مصدر شر وتفرقة بين أبناء الجنس الواحد.

هذا الاتجاه كان قد روج له رفاة الطهطاوي (توفي سنة 1873م) ثم بعده تلميذه صالح مجدي (1825م - 1881م) فردد كلمات الوطن والوطنية في شعره، فألف ديوانا سماه بالوطنيات، مدح فيه سعيد باشا والي مصر، " وهو في هذه الوطنيات يشيد بالوطن محاولاً أن يغرس حبه في القلوب، ويتغنى بأجداد الأجداد، ويفاخر بجيش البلاد، مبرزاً قوته، معتداً بشدة بأسه" (47).

فمن ذلك قوله في الوطنية:

(46) - محمد حسين، (مص، س)، ص 59.

(47) - المصدر نفسه، ص 61.

بامتداح الصدر غنوا \*\*\* فهو للأوطان حصن  
وهو للإيمان ركن \*\*\* ولكم في الجوف أمن

في ميادين الوقائع

في الوغى أنتم أسود \*\*\* يا بني الأوطان سودوا  
ولها بالروح جودوا \*\*\* وادخلوا الأحياء وصيدوا

صيدها يوم الزعازع

واستعدوا للكفاح \*\*\* في مساهمات الصباح

واطلقوا خيل الفلاح \*\*\* في ميادين النجاح

تعكس هذه الأبيات عند صالح مجدي الوضوح المبكر لفكرة الوطنية.

### فشل الثورة العراقية

عرفت الحركة الوطنية روكدا بعد فشل ثورة أحمد عرابي فامتألت قلوب المصريين رهبة من السياسة، وخوفا من الاشتغال بها، لكيلا يعرفوا مصير أحمد عرابي، غير أنه وفي أوائل القرن العشرين ظهرت دعوة جديدة إلى القومية على يد مجموعة من الشباب، على غرار أعضاء الحزب الوطني بزعامة مصطفى كامل الذي تحدث عن الوطن حديثا عاطفيا، ليحل حب الوطن محل الدين كما عبر عن ذلك شوقي في قصيدة حب الوطن بقوله:

ولو أني دعيت لكنت ديني \*\*\* عليه أقابل الحتم المجانا

أدر اليك قبل البيت وجهي إذا فهت الشهادة والمتابا<sup>(48)</sup>.

أما الفريق الثاني والمتمثل في حزب الأمة، فكان كذلك شبابا من المثقفين ثقافة أوروبية، فتحدثوا عن الوطن حديث العقل والمصلحة، وعن المنفعة المادية والمصلحة المشتركة التي تجمع المصريين. فمن خلال متابعة خطب مصطفى كامل نلاحظ التأثير الأوروبي واضح في فكر الرجل بالإضافة إلى محاولته التوفيق بين الوطنية والدين. وجاء في خطبة له بحديقة الأزبكية سنة 1897 قوله: "إن الوطنية هي أشرف الروابط للأفراد، والأساس المتين الذي تبنى عليه الدول القوية والممالك الشامخة.

<sup>(48)</sup> - محمد حسين، (مص، س)، ص 64.

وكل ما ترونه في أوروبا من آثار العمران والمدينة، ما هو إلا ثمار الوطنية. أصبح اليوم الوطن المصري ينتظر منكم ومن بقية أبنائه عدلا وانصافا"<sup>(49)</sup>.

ويقول في خطبة أخرى بالإسكندرية سنة 1900: "قد يظن بعض الناس أن الدين ينافي الوطنية، أو أن الدعوة إلى الدين ليست من الوطنية في شيء. ولكني أرى أن الدين والوطنية توأمان متلازمان، وأن الرجل الذي يتمكن الدين من فؤاده يحب وطنه حبا صادقا، ويفديه بروحه وما تملك يده"<sup>(50)</sup>.

وقد سرت روح مصطفى كامل في مجموعة من الشعراء والأدباء. وكان كل من الشعارين علي الغاياتي وأحمد محرم، في طليعة من يتغنون بحب الوطن ويستهدفون بعث العاطفة الوطنية واثارتها في قوة دافقة ومحاربة الظلم والاستبداد.

يقول الغاياتي في ديوانه (وطنيتي):

في سلام الليل حاربت المناما \*\*\* فسلاما أيها الطيف سلاما  
مرحبا بالزائر الساري إلى \*\*\* مضجع الحب يحيى المستهما  
لست أشكو الهجر من فاتنة \*\*\* تشتكى مثلى ولوعا وصياما  
نحن صنوان قضينا حقبة \*\*\* في ربوع النيل نستدرى النماما  
نبصر الفيض بمصر جاريا \*\*\* بيد أن القوم يشكون الأواما  
وعداة ملكوا الأمر ولم \*\*\* يحفظوا للشعب في حق زماما  
وولاة أقسموا أن يسجدوا \*\*\* كلما رام العدا منهم مراما  
أما أحمد محرم، فشعره في حب مصر لا يعد له في صدقه وفي حرارته إلا خطب

مصطفى كامل، فهو القائل في قصيدته (إيمان المخلصين):

ألي في الهوى مالي وللائم العذر \*\*\* أما يعلم اللوام أن الهوى مصر  
فإن يسألوا ما حب مصر فإنه \*\*\* دمي وفؤادي والجوانح والصدر  
لنفسى وفائي إن وفيت بعهدا \*\*\* وي لا بها إن خنت حرمتها الغدر  
أخاف وأرجو وهي جهد مخافتي \*\*\* ومرمى رجائي لا خفاء ولا نكر

<sup>(49)</sup> - محمد حسين، (مص، س)، ص 65.

<sup>(50)</sup> - المصدر نفسه، ص 65.

هي العيش والموت المبعض والغنى \*\*\* لأبنائها والفقير والأمن والذعر  
هي القدر الجاري هي السخط والرضى \*\*\* هي الدين والدنيا هي الناس والدهر  
بذلك آمناً فيا من يلومنا \*\*\* لنا في الهوى إيماننا ولك الكفر  
تدفق فيها الوحي شعراً وإنما \*\*\* سقانا بما النيل الذي كله شعر  
تخير فيه الواصفون نفاسةً \*\*\* فأوصافه شتى وألقابه كثر  
رئيسٌ وذو تاجٍ وشارع أمةٍ \*\*\* ونابعةٌ غمرٌ وداهيةٌ نكر  
ملوك وأبطالٌ يروعك منهم و \*\*\* شهاب الوغى سعدٌ وصاحبه عمرو  
إذا جال ماء النيل في جوف شاربٍ \*\*\* فليس له إن خان أبنائه عذر  
أما دعاة الوطنية، الذين حاربوا فكرة الجامعة الإسلامية، واقتصروا على الاهتمام بالمصالح المصرية  
الضيقة، فقد صور الوطنية على أنها المصلحة المشتركة بين الوطنيين المصريين، عبرت عنه الصحف  
المحلية كصحيفة المقطم وصحيفة الجريدة.  
أما صحيفة المقطم كانت مكشوفة تماماً في تأييد المحتل زاعمة أن الانجليز كلفوا أنفسهم الإقامة  
في مصر إلا من أجل رفع الظلم وإحياء العدل.



### المبحث الثالث: محنة الجامعة المصرية

ظهرت سنة 1911 أزمة خانقة كادت أن تهدم فكرة الجامعة المصرية، حيث تفاقم الخلاف بين المسلمين والمسيحيين، وظهر هذا الخلاف إلى الوجود في مؤتمر أسيوط في مارس 1911. وتعود أسباب هذا النزاع إلى سوء الظن وفقدان الثقة، حيث اتهم المسلمون الأقباط بموالاةهم للانجليز، بسبب الرابطة الديني المسيحي، بينما يسيء المسيحيون الظن في المسلمين خوفا من الانتقام منهم، ولا يحول بينهم وبين ذلك إلا الانجليز.

كذلك من أسباب النزاع هي تسيد المسلم على القبطي، وعدم انسجام الأقباط مع الدعوة للجامعة الإسلامية والرابطة الديني، وهذا ما يخدم التوجه الاستعماري البريطاني، وفي ظل هذا الوضع بدأ الأقباط يتدمرون من أوضاعهم، وبدأ المسلمون يلحظون ذلك فعدو ذلك تمردا وخيانة للوطن. كما لا ننسى تفوق الأقباط التعليمي وجمعهم للمال، مما زادهم من فرص العمل والاستحواذ على المناصب والوظائف العليا، ومما عرف على الأقباط أيضا " تحافتهم على المناصب التي زهد فيها بعض المسلمون، وتوارثهم الوظائف المتصلة بالأعمال المالية والحسابية منذ زمن طويل"<sup>(51)</sup>. ولم يكن من المستغرب أن يكره الأقباط المسيحيون الحكم التركي الذي لم ينالوا منه خيرا، ولم يذوقوا على يديه إلا الذل. وكان طبيعيا أن يكرهوا كل دعوة إلى الجامعة الإسلامية أو الرابطة العثمانية، وان لا يتحمسوا للدعوة الوطنية الدينية الموالية للترك، والتي كان يمثلها الحزب الوطني وقتذاك"<sup>(52)</sup>.

أنشأ المسيحيون صحافة خاصة بهم، لأنهم كانوا يعتقدون أن مصلحتهم تختلف عن مصلحة المسلمين، فأصدروا جريدة الوطن سنة 1877، ثم صحيفة مصر سنة 1895، حيث اقتصرت تلك الصحف على معالجة مشاكل الأقباط، " وانتهى بها الأمر إلى أن تتحدث عن الأقباط وكأنهم أمة مستقلة لها كيان منفصل عن مصر، وتقول إنهم سلالة الفراعنة وأصحاب البلاد، وأنهم هم المصريون الخالص الذين لا تشوب دمهم شائبة أجنبية. (...)، وتصدر وقت ذاك وزارة بطرس غالي في 25 مارس 1909 قرارا باعادة العمل بقانون المطبوعات القديم الصادر في 26 نوفمبر 1881 إبان الثورة

<sup>51</sup>- محمد محمد حسين، (مص. س)، ص 127.

<sup>52</sup>- المصدر نفسه، ص 128.

العربية (...) وتقوم مظاهرات الاحتجاج من مختلف الطوائف، وتصطدم للمرة الأولى برجال الشرطة"<sup>(53)</sup>.

### المؤتمر القبطي وقراراته:

وفي خضم هذه المشاحنات بين المسلمين والمسيحيين، أخذ " بعض أعيان الأقباط إلى الدعوة سرا لعقد مؤتمر يبحث حالتهم ويؤيد مطالبهم، ويثون روح السخط بين المواطنين الأقباط، ويصورون أنهم مغبنون في الوظائف وفي الحقوق العامة"<sup>(54)</sup>.

وتم انعقاد المؤتمر بعد الممانعة من الحكومة المصرية، وكان ذلك يوم 5 مارس 1910 ليستمر إلى غاية 8 مارس 1910 برئاسة بشرى حنا بك، حيث انحصرت مطالبه في:

- طلب العطلة يوم الحد بجانب الجمعة.
- أن تكون قاعدة التوظيف هي الكفاءة دون النظر إلى النسبة العددية للأقباط.
- لا يقتصر التعليم على الدين الإسلامي وحده في المدارس الأولية.
- وضع نظام يكفل تمثيل كل عنصر مصري في المجالس النيابية.

### المؤتمر المصري ونتائجه:

وفي الجانب الآخر دعي الى مؤتمر مصري بزعامة مصطفى رياض، وكانت دعونه النظر " في شؤون المصريين جميعا مسلمين وأقباط سماه المؤتمر المصري"<sup>(55)</sup> تفاديا للأساس الطائفي الذي قام عليه مؤتمر الأقباط، وكان ذلك يوم 29 أبريل من سنة 1911، وظل منعقدا إلى غاية 4 ماي 1900، حيث نص تقرير اللجنة على مجموعة من القرارات هي:

- المؤتمر ينظر في التوفيق بين عناصر الشعب المصري.
- أن الأكثرية والأقلية تقوم في الأمم على المذاهب السياسية، وليست على أساس الدين.
- استنكر الاستعانة بالانجليز، وانه خطر على الوطن وعلى الجامعة القومية، بل أبدى الاسترابة من استنصار الأقلية المسيحية على الأكثرية اعتمادا على الاحتلال المسيحي.

<sup>(53)</sup>- محمد محمد حسين، (مص. س)، ص 129.

<sup>(54)</sup>- المصدر نفسه، ص 131.

<sup>(55)</sup>- نفسه، ص 136.

- أن المؤتمر مطالب القبط بالرد عليها واحدا واحدا مدعما رده على الإحصائيات حين تبين عكس ما قالوا.

- أن المؤتمر يبحث في المسائل الاجتماعية والاقتصادية دون الدخول في المسائل السياسية. الخصومة التي ظهرت بين المسلمين والأقباط أدت من خلال المؤتمرات وما سبقها وما لحقها إلى التنفيس عن النفس، فنهض العقلاء من الجانبين لتخفيف حدة التوتر، مؤكداً أن الخصام لا يستفيد منه إلا الاختلال.

وقد كان هذا الخصام نقطة تحول في تاريخ الفكرة القومية، وكانت الميلاد الحقيقي لفكرة الوطنية المصرية التي بدت في أكمل مظاهرها في ثورة 1919.

" ذلك أن تفاقم الخصومة أفزع الفرقين فسارع كل طرف ليطفئ م يراه مشتتاً، فتولدت من ذلك رغبة صادقة في جمع الكلمة، ساهم فيها المصريون من أقباط ومسلمين، وتسابق القوم كل يدلي بدلوه: الخطيب والشاعر والكاتب والسياسي كلهم يشاركون في رأب الصدع"<sup>(56)</sup>.

فهذا هو مرقص فهمي يلقي خطبة في اجتماع عقده الأقباط بمحديقة الأزبكية، ينفي فيها عن المسلمين فكرة التعصب، ليجيبه الغاياتي بقصيدة مطلعها:

خطبت فلم تجنح الي شرعة الهوي \*\*\* ولم تتخذ نهج الخلاف سبيلا  
وانصفت قوما أنت منهم، وإن عدا \*\*\* عليهم جهول، او أعان جهولا.

فما أنت قبطي يبيع بلاده \*\*\* ويرضي بدين الجاهلين بديلا

وما أمة القرآن في مصر أمة \*\*\* تري أمة الإنجيل أبغض جيلا

فإنا وأتم إخوة في بلادنا \*\*\* أقمنا علي دين السلام طويلا

ويجتم بقصيدة بتحية مرقص فهمي قائلاً:

فسر في سبيل الصدق يا خير قائل \*\*\* اقام علي صدق الولاء دليلا

ففي ذمة الأهرام موقفك الذي \*\*\* روى النيل والأهرام منه غليلا

<sup>(56)</sup> - عبد الرحمن عبد الواحد الشجاع، (مر. س)، ص 50.

ويكتب واصف غالي والقتيل أبوه الى إسماعيل صبري يرجو منه التوسط لصلح بين الطائفتين يقول: " سعادة سيدي المفضل إسماعيل باشا صبري: قيل أن الشعراء انبياء، إذ هم ساسة الأفكار وقادة الشعوب. فعسى أن يتبعك شعب مصر فتسلك به مسلك الحق والشرف" (57).

ويلي إسماعيل صبري الدعوة فيكتب قصيدة يتحدث فيها عن مصاب المسلمين والأقباط في بطرس غالي، قائلاً:

معشر القبط يا بني مصر \*\*\* في السراء قد كنتم وفي الضراء  
قد فقدنا منا ومنكم كبيراً \*\*\* كان بالأمس زينة الكبراء  
دين عيسي فيكم ودين أخيه \*\*\* أحمد يأمرانا بالإخاء  
مصر أنتم ونحن إلا إذا \*\*\* قامت بتفريقنا دواعي الشقاء  
مصر ملك لنا إذا تماسكنا \*\*\* وإلا فمصر للغرباء  
لا تطيعوا منا ومنكم أناس \*\*\* بذروا بيننا بذور الجفاء

وتواتر الشعراء الشعر، كلما سنحت مناسبة، مؤكدين صلة المودة والاخاء بين المسلمين والأقباط. فقتل بطرس غالي ورثاه شوقي بقصيدته  
قبرَ الوزير، تحيةً وسلاماً \*\*\* الحلم والمعروفُ فيك أقاما  
قائلاً:

قد عشتُ تُحدِثُ للنصارى ألفة \*\*\* ونجدُ بين المسلمين وثاماً  
واليوم فوق مشيد قبرك ميتاً \*\*\* وجدَ الموفقُ للمقال مقاماً  
الحقُّ أبلج كالصباح لناظرٍ \*\*\* لو أنّ قوماً حكّموا الأحلاماً  
أعهدتَنا والقبطَ إلا أمةً \*\*\* للأرض واحدة تروم مراماً؟  
نعلي تعاليم المسيح لأجلهم \*\*\* ويوقرون لأجلنا الإسلاماً  
ورثاه إسماعيل صبري بقصيدته:

عيني اليوم فيها قبطية \*\*\* تروي الأسي عن مسلم موجه

<sup>57</sup> - محمد محمد حسين، (مص. س)، ص 139.

يهيم من وجد ومن لوعة\*\*\* في الجانب الأيسر من أضلعي  
كان هذا الشقاق اذن محنة امتحنت بها الجامعة المصرية الناشئة فثبتت لها. وكام فرصة مواتية  
لكلام كثير قليل في تثبيت دعائم القومية المصرية. وليس من الاسراف في الاستنتاج، ولا هو من  
الغلو القول، أن نقرر أن الوحدة الرائعة بين عنصري الأمة، التي بدت بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى  
في سنة 1919، لم تكن إلا ثمرة لهذه الجهود المخلصة التي بذلت في رآب الصّدع، وتوثيق الصلات،  
وإزالة الأوهام، وتصحيح فهم التدين. الذي لم يزل الجهل يأخذ بزمامه، والعصبية العمياء تركبه، حتى  
تردت به في فتنة هوجاء، يبرأ منها إلى الله كل دين<sup>(58)</sup>.

<sup>58</sup> - محمد محمد حسين، (مص. س)، ص 151.

### المبحث الرابع: التيارات السياسية

إن بداية الوعي السياسي المصري كان نتيجة الثورة العرابية التي تحمل في جعبتها مظهر ثقة المصريين بأنفسهم وبقدرتهم على الصمود في وجه الأجنبي، هذه الثورة التي عكست التطلع إلى الحرية والنيابة البرلمانية، وقد بدأت منذ أواخر عهد إسماعيل لتمتد إلى أوائل عهد توفيق. كما تجلت مظاهرها في أشكال التعبير المختلفة من خلال الصحف المعارضة للحكومة، وارتفع الحديث عن الظلم على أسنة الثوار، وكان من بين هؤلاء جمال الدين الأفغاني يشحن قلوب تلاميذه ومريديه بالثورة على الأوضاع السائدة حيث يقول: "إنكم معاشر المصريين قد نشأتم في الاستعباد، وريتم بحجر الاستبداد، وتوالت عليكم قرون منذ زمن الملوك الرعاة حتى اليوم وأنتم تحملون عبء نير الفاتحين وتهنون لوطأة الغزاة الظالمين، تسومكم حكوماتهم الحيف والجور، وتنزل بكم الخسف والذل، وأنتم صابرون بل راضون، وتتنزف قوام حياتكم ومواد غذائكم المجموعة، بما يتحلب من عرق جباهكم بالمقرعة والسوط، وأنتم في غفلة معرضون"<sup>(59)</sup>.

غمر في تلك مصر سيل من المنشورات السرية التي تصور الحالة السياسية فيها، وكان أول هذه المنشورات بيان سياسي في 4 نوفمبر 1879م، تلاه بعد ذلك تأسيس الحزب الوطني سنة 1882، وقد اجتمعت فيه كل الأطياف المكونة للمجتمع المصري من مسلمين ونصارى ويهود، وهذا دلالة على الوعي الذي وصل إليه المصريون مع اشتراك الهدف السياسي.

كما ظهر شعراء وتجرؤوا في مواجهتهم للخديوي إسماعيل متهمين إياه بتضييعه البلاد وبيعها في سبيل كسب المال. حيث يقول صالح مجدي:

رمى بلادكم في قعر هاوية \*\*\* من الديون على مرغوب جوسيار  
وأنفق المال لا بخلا ولا كرمًا \*\*\* على بغي وقواد وأشرار  
والمرء يقنع في الدنيا بواحدة \*\*\* من النساء ولم يقنع بمليار  
ويكتفي ببناء واحد وله \*\*\* تسعون قصرًا بأخشاب وأحجار  
فاستيقظوا لا أقال الله عثرتكم \*\*\* من غفلة ألبستكم ملابس العار

<sup>(59)</sup> - محمد محمد حسين، (مص، س)، ص 135.

وبدأ الشعور بالملل والسخط يتزايد ويتعاظم لدى عامة الناس ضد الخديوي، وفي هذا الصدد كتب محمد عبده مقالين سنة 1881م يؤيد فيهما النظام النيابي من أجل تحقيق مصالح الوطن، إذ يقول في نظام الشورى: "قد علمت أن الواحد وإن بلغ من علو الفكر ورفعة الذكاء مكانا عليا قاصر عن الإحاطة بمصالح الأمة. وحينئذ يلزمها إذا ألفت إليه مقاليد مصالحها أن تمدد من آرائها بما يقتدر به على النهوض بواجباتها والقيام بحقوقها. فليس من الإنصاف أن تلقى على كاهله أعباء هذه المصالح الجسيمة وتتخلى عنه، ثم إذا رأت ما لا بد منه من التقصير وجهت إليه سهام اللوم. بل يجب عليها مساعدته بما تراه مرافقا لوجه الصواب، ثم إذا وجدت منه تقصيرا فيما اختص به كان لها حينئذ أن تلوم"<sup>(60)</sup>.

وللبارودي كذلك رأي في الموضوع، حيث يقول: "كنا نرمي منذ بداية حركتنا إلى قلب مصر جمهورية مثل سويسرا، ولكن وجدنا العلماء لم يستعدوا لهذه الدعوة، (...) ومع ذلك فسنجتهد في جعل مصر جمهورية قبل أن نموت"<sup>(61)</sup>.

وانتهت الثورة العرابية بسجن زعمائها وتشريدهم، واحتلت مصر من قبل الانجليز احتلالا كاملا سنة 1882. وظهرت حالة من اليأس في نفوس المواطنين وفقدان الثقة ومن مظاهر ذلك: انتشار الوشائيات بين الناس حتى فقد الصديق ثقته بصديقه، كما كره الناس السياسة، وتشاءموا باسمها. كما ارتم الخديوي في أحضان الانجليز، وتوالت الوزارات المستسلمة للانجليز، وأخذت أصوات الصحافة المناوئة للاحتلال، كمنع صحيفة العروى الوثقى التي كان يشرف عليها جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده في باريس من دخول مصر وألغيت صحيفة الوطن ومرآب الشرق والأهرام.

#### – المطالبة بالجلاء

بعد حوالي سبعة سنوات من الاحتلال بدأ المصريون ينتفضون ضد المستعمر ويفقون من صدمة اثار الثورة العرابية، حيث كانت البداية مع صحيفة "المؤيد" سنة 1889م. وقد جاء في فاتحتها "

<sup>(60)</sup> – ينظر محمد محمد حسين، (مص. س)، ص ص 139، 140

<sup>(61)</sup> – المصدر نفسه، ص ص 141، 142.

ومالنا أن نقوم بشعائر تطالبنا بها الإحساسات الطبيعية والحاجات الوطنية ودواعي الحياة الدينية والأدبية وكمال التحقق بحقيقة الوحدة الجامعة الجنسية"<sup>(62)</sup>

وكانت البداية بدعوة الشعب المصري إلى الاتحاد فيما بينهم ضد المستدمر لهويتهم، كما يدعوهم إلى إرجاع المجد القديم للبلاد وتنبيههم من خطره الاقتصادي وراح يوقظ أهل البلاد من غفلتهم بقوله: "ألا قل لمن يظن أن مجد الأمة بالمال والحرية أن المال لا ينهال من السماء والحرية لا تنبعث من الينابيع والجداول وكلاهما لا يأتي إلا عن طريق العزم والحزم ولا يغرس في الأمة إلا بأيدي كبار رجالها الذين يحبون أن يروا شعبهم متجلببا بجلباب السعادة والرفاهية في أعين الشعوب. ولا يخفي أنه لا يشخص الأمة في عيون غيرها إلا حال القابضين على أزمة أمرها".<sup>(63)</sup>

كما أخذ يضرب لهم الأمثال في قوله: "قالت الحكماء إن الحياة هي مجموع الوظائف التي تقوم بها أعضاء الجسم والموت هو بطلان تلك الوظائف"<sup>(64)</sup> محذرا لهم من ضعف الشعور بالقومية المصرية من خلال توجيهه الأنظار إلى خطر انتشار المدارس الأجنبية. فصوت "المؤيد" هو الباعث في هذا البلد الحياة، لتخرج إلى الساحة بعده، العدد الأول من مجلة أستاذ في 23 أوت 1892م بصوت قوي من قبل عبد الله النديم لتعلو الحرب صراحة على الاستعمار في مقال عنيف لا غموض فيه جاعلا عنوانه عنوان يرد ما ألقاه الإنجليز في الساحة "لو كنتم مثلنا لفلتم فعلنا" وهذا كان ردًا على إنذار كرومر لعباس حين أقال وزارة مصطفى، مشيرا إلى الفساد من خلال إفساد الأخلاق للمصريين من قبل الإنجليز ملقيا الذنب كله على زعماء مصر وحكمائها متناسيا ما جاء به المستعمر من اغترار وانخداع، لمس أخلاق المصريين وتقاليدهم، مما أدى إلى انحلال الشخصية وموت الكرامة، أي أن هذا الاستعمار الذي دخل تخفى وراء ستار أنه أتى ليراقبهم ويمدهم بثقافتها ونظراتها الجديدة والمتطورة، لكن هذا لا ينفي أن كان لأمرء مصر دور في ما وصلت إليه مصر، وهذا ما أشار إليه عبد الله النديم في لومه للمصريين وتذكيره لهم لما فعلوا من عثرات أقحمتهم في دوامة لا خروج منها إلا بإعادة بناء الثقة بينهم من جديد.

<sup>(62)</sup> - محمد محمد حسين، (مص. س)، ص 143.

<sup>(63)</sup> - المصدر نفسه، ص 144، 145.

<sup>(64)</sup> - نفسه، ص 145.



وما إن ترك عبد النديم الساحة حتى تلقف الراية مصطفى كامل، وكانت سياسته تقوم على تجنب الصدام مع الخديوي، بل حاول أن يجعل من الشعب والقصر قوة واحدة تواجه الاستعمار. وتبقى السلسلة متواصلة ليحمل راية الدفاع مصطفى كامل، وهو ثمرة ما زرعه عبد الله النديم، وجاهر بطلب الجلاء من خلال حديثه في "صحيفة الأهرام" وبلغت منشوراته حتى الصحف الأوروبية. إن ميلاد الحركة الوطنية كان مقترنا بظهور الخديوي عباس فكان محور الحياة السياسية والوطنية حتى ذلك الوقت وقد تولى الحكم وهو في الثامنة عشر من عمره حتى أن كرومر كان ينظر إليه على أنه مصري بحت، والذي يمثل رمز لفاكهة الأدب التي زرعتها في الحديقة السياسية بعد وفاته بطعم مخالف له. راسما لمصر وللمصريين طريقا جديدا يسرون عليه دون طمس للهوية والمحافظة على القومية وراسما صورة خوف وفزع في قلوب الانجليز والمخالفين لشعبه.

واستقطب الخديوي دماغا أخرى تمثلت في مصطفى كامل الذي لفت أنظاره منذ أن ألقى أمامه خطبة يرحب فيها بمقدمه حين زار مدرسة الحقوق فهنا شجعه على إتمام دراسته في فرنسا، كما أولاه عناية كبيرة وشجعه على تأسيس الحزب الوطني كما أعانه على إصدار صحفه المختلفة متعمدا في ذلك إلى لف الشعب حول الثورة، إلا انه اصطدم بكرومر والذي وضع له مكيدة ظانا انه قد لقنا الخديوي عباس ضربة لن يستفيق منها ليمضي عباس هادما كل الحواجز، ولم تؤثر فيه إقالة مصطفى فهمي فوضعه في مكانه أي في مكان مصطفى فهمي مصطفى رياض الذي كان يتوقعه الخديوي عباس مخالفا للمبادئ العربية إلا انه كان غير ذلك وأيد عباس في ثورته ضد الانجليز. ومضى كرومر في مهاجمة عباس وأعطاه ضربة قاضية فقضت عليه من الجانب السياسي لكن لم تقضي عليه في قلوب شعبه الذي ظل يمدحه ومُدح من قبل العديد من الشعراء.

وها هو شوقي يقول في حقه:

بصوتك حاججنا الممالك والعصرا \*\*\* وقلنا فباتت مصر في مجدها مصر

وباسمك أسمعنا، نريد زماننا \*\*\* كبيراً كعهد العالمين به - حرًا

ونطلبُ حقًا عند هذا الورى لنا \*\*\* توضّح، يُزري في توضّحه الفجرا

فتى الملك لي في حب ذا الملك سيرة \*\*\* فقل لي، وإني من يرى أمرك الأمرا(65)  
كما يشير في قصيدة أخرى إلى مدى اتفاق الشعب حول عباس فقال فيه:  
بعبّاس عشنا حين لا العيش هيئ \*\*\* وحين بنوه لا جميل ولا حمد  
تحبّك يا خير الملوك رعيّة \*\*\* لها منك ما تخفي، وللحال ما يبدو  
ولاء مع الأيام، تنمو صروفها \*\*\* فينمو، وتشتد الخطوب فيشتد (66)  
وكان لحافظ في هذا المكافح من اجل قوميته رايا ومدحا له فيقول:  
رددت ما سلبت أيدي الزمان لنا \*\*\* وما تقلص من ظل وسلطان  
...فكن بملكك بّناء الرجال ولا \*\*\* تجعل بّناءك إلا كلّ معوان  
وانظر إلى أمة لولاك ما طلبت \*\*\* حقاً ولا شعرت حبا لأوطان (67)  
كما انشد فيه عبد الحليم المصري سنة 1906:

لك اللواءان فوق الإنس والجان \*\*\* فاخذل عداتك من قاص. من داني  
ربّ الأسود التي يوم الكريهة لا \*\*\* يرون إخوانهم فيها بإخوان  
لبثت في أمة السكسون تقرضها \*\*\* عدلا بعدل وعدوانا بعدوان  
وكنت كالدهر لو أغفت لو لحظه \*\*\* له على الناس قلب غير وسنان(68)

ويبقى لدى عباس بصيص من الأمل السياسي ليستنجد بالأتراك تارة وبالإنجليز تارة أخرى، رغم عدم رضاه بكليهما مما جعل الناس يختلفون في آراءهم حوله، ليثبت لديهم الرأي حوله وبنوده إزاء ما كان يفعله وتبعيته للمحتل الإنجليزي حتى وصل بهم الحد بمحاولة اغتياله، ها هي هنا مصرا تنقلب على نفسها المصري ضد المصري تحت مكائد سياسية خارجية، لينتهي بعباس إلى طريق مسدود فلم يقف احد إلى جانبه وهذا ما أدى إلى باسه واستسلامه ورفضه وتصريحه أيضا في صحيفة "الديلي تلغراف" حديثا سنة 1907 بعد تعيين غورست وتصريحه بعدم استبدال احتلال باخر وان الاحتلال

<sup>65</sup> - محمد محمد حسين، (مص. س)، ص 164.

<sup>66</sup> - المصدر نفسه، ص 165.

<sup>67</sup> - نفسه، ص 166.

<sup>68</sup> - نفسه، ص 168.

الانجليزي أفضل وأحسن من الآخر، وفي الأخير دفعته خيبة الأمل التي واجهته إلى جمع المال في شره وتكديسه وكمثال عن ذلك جزيرة طاشور وشركة الزبرجد والنحاس دفعه بالاصطدام بحسن عاصم ومحمد عبده وبقاضي القضاة تركي سنة 1904<sup>(69)</sup>

وهاهم شعراء الأوس المداحين للخديوي يهجونه بدءاً من الغيائي فيقول الغيائي مؤنباً للخديوي عباس جراء خضوعه للمحتل:

وعداة ملكوا الأمر ولم \*\*\* يحفظوا للشعب في حق ذماما  
وولاة اقسما أن يسجدوا \*\*\* كلما رام العددا منهم مراما  
ربّ... ماذا يصنع المصري أن \*\*\* جاوز الصبر مدى الصدر فقاما؟  
طال يوم الظلم في مصر، ولم \*\*\* ندري بعد اليوم للعدل مقاما  
هل يرى المحتلّ أنا أمة \*\*\* مد عرفنا السلم لا ندري الخصاما؟  
أو يرى الظالم فينا أننا \*\*\* نحمل الحسن ولا نبغ انتقاما؟<sup>(70)</sup>  
ويهاجم شوقي في مساندته لعباس بشعره من قبل الغيائي فيقول فيه:  
يا شاعر الأمراء، ويحك، هل ترى \*\*\* في النشر ما في النظم من خطوات؟.  
إنّي رايتك في حديثك شاعرا \*\*\* لكن خيالك زائغ النظرات  
يا شاعر النيل العظيم... أما ترى \*\*\* للنيل إلا أسوأ الحالات؟  
والله يعلم أننا لا ننسى \*\*\* يوما ولا نلهو عن الطلبات  
حتى نفوز بنيله رغم العدا \*\*\* وننبه العزمات للهجمات<sup>(71)</sup>

ويصل الحد بهذا الشاعر إلى مخاطبة عباس بأقسى الكلمات ومهاجماً لبطرس غالي ولي الوزارة وتذكيره بماضيه مصوراً في ذلك الملك "الفاسد" ويعود ويخاطب عباس طالباً منه الاستمساك بيد شعبه.

<sup>(69)</sup> - محمد محمد حسين، (مص، س)، ص ص 169، 171

<sup>(70)</sup> - المصدر نفسه، ص 183.

<sup>(71)</sup> - نفسه، ص 184.

أما الكاشف فتقدم إلى عباس داعيا له بإعادة الدستور الذي أولاه أبوه للكشف عن مكائد الإنجليز فيقول:

يا تابع الأجداد والآباء في \*\*\* حكم البلاد أعد صنيع أييكا  
وأمنح رعيتك الذي سألونه \*\*\* وعلى الطغاة الاثم إن منعوكا  
ماذا عليك إذا انتزعت أمورها \*\*\* منهم وشاطرك الأمور بنوكا.  
لا يسألونك مدفعا وصورما \*\*\* هم يسألونك آية من فيكا  
لك في الخليفة أسوة محمودة \*\*\* لتتبعن سبيله المسلوكا<sup>(72)</sup>

وهذه الأشعار التي أوردتها الغياثي وشوقي والكاشف في معابرتهم ولومهم للخديوي عباس لما وصل إليه الشعب المصري زادت من إعادة بث روح الثورة والكفاح في نفس عباس، وبث منهج جديد بروح جديدة مكاشفة عن مكائد وثغرات وعدوانية المحتل التي لفقها للخديوي عباس فبعد عن شعبه وهزت ثقتهم ب هالا أنها لم تدم وعادت ثقتهم به مجددا فمهما فعل الدخيل فلن يخرج خليل الروح ورفيق الدين النصح.

كما حذره من سياسة الوفاق الخبيثة التي جاء بها جورست ليفوق بها بينه وبين شعبه ليقسوا عليه عبد الحليم المصري هو أيضا في قصيدة على لسان الأمة المصرية يحذره فيها من معاداة الشعب وتجاهل مطالبه ويضرب له الأمثال بمظفر الدين شاه العجم الذي خلعه شعبه حين ألقى الدستور الذي أصدره أبوه الذي توعدته إن يحافظ عليه فيقول:

رد الوديعه لا مالا ولاشانا \*\*\* لم نرج في جانب الدستور إحسانا  
لولا ولاؤك لم نبسط إليك يدا \*\*\* من الرجاء ولم تسألك غفرانا  
رب الأريكة؟ إنا لا تزال على \*\*\* وثيق عهدك أخذانا وأعوانا  
الناس تخلق أحرارا، فكيف بنا \*\*\* نرضى المقام بوادي النيل عبدانا؟  
مظفر الدين ... هل أغمضت عينك عن \*\*\* منابت الشعب، أم أوقرت آذاننا؟<sup>(73)</sup>

<sup>(72)</sup> - محمد محمد حسين، (مص، س)، ص 188.

<sup>(73)</sup> - المصدر نفسه، ص 190.

ويبقى عباس يخبيء كرهه للإنجليز سواء بدافع من وطنيته أو حقدا على انتزاعه من سلطته تحت وجه آخر مقنع.

وضلت في مصر سلطتان قائمتان سلطة الخديوي وسلطة المعتمد البريطاني أو ما تسمى بالسلطة الشرعية والسلطة الفعلية وهاتان السلطتان ظلتا تحاولان كسب أكبر عدد من الشعب لصفها فأصبح للخديوي صحيفة المؤيد وحمد شوقي شاعرا أما المعتمد البريطاني فاتخذ من نسيم شاعرا له تحت إدارة صحيفة المقطم وكان شاعر الخديوي يرصد المناسبات المختلفة ليسجلها في شعره فيقول فيه: بصوتك حاججنا الممالك والعصرا \*\*\* وقلنا في انت مصر في مجدها مصر<sup>(74)</sup> ويهاجم كرومر فيقول:

أيامكم أم عهد إسماعيلًا؟ ... \*\*\* أم أنت فرعون يسوس النيل<sup>(75)</sup>

وهذا البيت المذكور سابقا يدل على لوم شوقي للخديوي عباس بعد رجوعه وأمنه لمكر كرومر والمحتل بصفة عامة لان عباس لم يشأ أن يقع في نفس الحفرة التي حفرها له الانجليز بل عمل في سرية كبيرة ليعيد الضربة من نفس الكأس وهو الخيانة واهتزاز الثقة مع الشعب. ويبق عباس يكيد في الخفاء وشوقي يتصيد بشعره وينتهز المناسبات ليضرب الإنجليز بأرقى الكلمات الهجائية فيهم.

وفي الشق الآخر ينتهز شاعر كرومر هو الآخر الفرض في هجاء عباس فيقول:

ويمينا لولاك عاث طغاة \*\*\* في بلاد من جورهم تتظلم

ظعن الجور عن بلادك لما \*\*\* طنب العدل في ذراك وخيم<sup>(76)</sup>

وعند رحيل الدخيل البريطاني كرومر من مصر كان هذا الشاعر الدخيل في بلاده يذرف الدموع عليه فيقول فيه:

يا منقذ النيل لا ينسى لك النيل \*\*\* يدأ لها من فم الإصلاح تقبيل<sup>(77)</sup>

<sup>(74)</sup> - محمد محمد حسين، (مص، س)، ص 195.

<sup>(75)</sup> - المصدر نفسه، ص 196.

<sup>(76)</sup> - نفسه، ص 196.

<sup>(77)</sup> - نفسه، ص 198.

ويبق شوقي ونسيم متصارعين أدبيا وكل يتحيز لقائده إضافة إلى ولي الدين يكن والذي كان يؤيد كرومر حتى انتهى به الأمر إلى الاعتراف بفضله ومن بين كتبه في ذلك مقاله الذي بعنوان: "المحتلون يخرجون من مصر".

حيث قدم مقال آخر يناشد فيه المحتلين بالبقاء فيقول فيه: "حتى صار مصار، وحمي لحمي بهذه البواتر، ونامت الأعين في أمن هاته الأعلام، وتريدون اليوم أن تخرجوا من مصر، ليصبح عاليها سافلها، ليجري هذا النيل أحمر قانيا؟.. كلا.. ثم كلا. لأصحن صيحة تحرق حجب الأزل وتنفذ إلى من ولجوا غابته ..... إنما يأنس إليكم أهل الوقار وأنصار الفضل"<sup>(78)</sup>

علاوة على هذا كان هناك آخرون مساندين كما يسمى بالاستعمار البريطاني، كالشآمين ومن الأرمين النازحين إلى مصر المتولين مناصب حكومية عليا وهذا ما جسده الأدب في هذه الحقبة من التعريض بالدخلاء.

والتحدث عنهم في أشعارهم كمدح "كرومر" مثلا والحزن بعد رحيله ومدحه وراثتهم للملكة فكتوريا عام 1901، رغم أنهم يعملون صدق مصالحهم في مصر إلا أن أعينهم كانت عمياء عن رؤية الحقيقة، لتظهر فيما بعد ويرحل المستعمر ويأخذ كل ما أتى به ويبقى وراء مجرد ذيل مقطوع لحية مخادعة وماكرة وحي السلطة الانجليزية التي قطعت وبترت على أيدي حكام مصر وشعرائها المساندين لهم أي كلام وشعر وحديث.

حيث قال مصطفى كامل في هذا الصدد: "وإذا كان صالح مصر يقضي كما قلت بوجوب وجود خطباء من أبنائها يطفون العواصم والمدائن في أوروبا المعلنين آرائهم مجاهرين بإحساساتهم، مطالبين بحرية بلادهم، فوجود خطباء مثلهم في مصر نفسها يرشدون الأمة إلى الخير، ويجذرونها من الوقوع في الشر خصوصا في هذا الزمن الذي يعمل فيه الدخلاء لتفريق بين الوطنيين..... ولإحداث الاضطرابات"<sup>(79)</sup>

<sup>(78)</sup> - محمد محمد حسين، (مص، س)، ص 202.

<sup>(79)</sup> - المصدر نفسه، ص 205.

ويقول عبد الله النديم في مقال نشر في مجلة الأستاذ في عدد 18 جانفي 1893: "أنا أخوك ... فلم أنكرتني؟ ... ما الشام ومصر إلا توأمان أبوهما واحد، يسوء الاثنين ما ساء أحدهما. (...). والعهد قريب، والعود غير عسير...." (80)

وقد صور حافظ إبراهيم هو الأخير ما كان يحدث بين المصريين والشاميين من كرهه وحقد وثقة ناقصة فيقول: "جلست أبت النيل من شكاتي من أبنائه وأنت تعلم أنهم صارمون على غير ريبة وقاطعونا على غير ذنب، وأصبحوا يرموننا بثقل الظل وجمود النسيم، ولم يراعوا حق الجوار، قسموا إقدامنا قحة، ونشاطنا جشعا، وكدحا وراء الرزق فضولا، ونزوحنا عن الوطن عارا، وضربنا في الأرض شرودا. وما ذنب من ضاقت عليه بلاده فخرج يلتمس وجوه الرزق في بلاد الله؟..... اللهم إنها محاسن عدوها عيوبها، وحسنات سمّوها ذنوبها." (81)

ويعود ويقول على لسان سطيح "إنني لا أكذب الله لقد أكثرتم من التداخل في شؤونهم فعز ذلك عليهم من أقرب الناس إليهم نزلتم بلادهم فنزلتم رحبا، وتفيأتم ظلالها فأصبتهم خصبًا، ثم فتحتم لهم أبواب الصحافة فقالوا أهلا، وحللتهم معهم في دور التجارة فقالوا سهلا، ولو أنكم وفقتم عند هذا الحد لرأيتم منهم ودا صحيحا وإخلاصا صريحا. ولكنكم تخطيتم ذلك إلى المناصب فسددتم طريق الناشئين، وضيقتم نطاق الاستخدام على الطالبين. ولقد كنتم منذ بضع سنين لا تجاوزون ستة آلاف عدا، فأصبحتم اليوم وقد نايفتم على الثلاثين" (82)

وقد وسع النثر في مهاجمة هذا الفريق من مسحي الشاميين المؤيدين للاستعمار في مصر ما لم يسع الشعر، نظرا للخوف من حدوث فتنة تغرق بين المصريين وها هو حافظ إبراهيم يقول:  
وقالوا: دخيل عليه:

دخيل عليه العفاء \*\*\* ونعم الدخيل مذهبي  
رأنا نياما ولما نفق \*\*\* فشمّر للسعي والمكسب  
وماذا عليه إذا فاتنا \*\*\* ونحن على العيش لم ندأب

(80) - محمد محمد حسين، (مص، س)، ص ص 205، 206.

(81) - المصدر نفسه، ص 207.

(82) - نفسه، ص 207.

ألفنا الخمول ويا ليتنا \*\*\* ألفنا الخمول ولم نكذب<sup>(83)</sup>

وزيادة على هذا وبعد وصفه لنشاط الشاميين ونجاحهم وتوفيقهم في مصر، فقد ألقى قصيدة في حفل أقيم له في فندق "شبرّد" فيقول:

هذي يدي عن بني مصر تصافحك \*\*\* فصافحوها تصافح نفسها العرب

فما الكنانة إلا الشام عاج على \*\*\* ربوعها من بنيتها سادة نجب

لولا رجال تغالوا في سياستهم \*\*\* منا ومنهم لما لنا واعتبوا

إن يكتبوا لي ذنبا في مودتهم \*\*\* فإنما الفخر في الذنب الذي كتبوا<sup>(84)</sup>

لقد لبس الشعراء حلة المدافعين عن الوطن في العديد من القصائد التي يهجون فيها المستدمر

الانجليزي في حين يدعمون الحكم والحكام المصريين وها هو على الغياثي يقول:

وغدا "الدخيل" مروعا \*\*\* أركانه تتهدم

يرجو النجاة ولا سبيل \*\*\* ويستبين فيعجم

ويمد صوت ندائه \*\*\* نحو "العميد" فيحجم

ذاق الوبال بما جناه \*\*\* ولم يعذه الدرهم

وكذلك شأن المجرمين \*\*\* يصيبهم ما أجرموا<sup>(85)</sup>

وتبقى هتان الطائفتان من الكتاب والشعراء تؤيد إحداها السلطة الشرعية والأخرى تساند

السلطة الفعلية تتوسط بينهما طائفة ثالثة تتبنى مبدأ الوسطية وعلى رأسهم حافظ إبراهيم والذي

كان تارة يمدح محمد عبده وتارة ينحاز إلى كرومر وأحيانا أخرى إلى عباس وهكذا دواليه وها هو

يمدح محمد عبده فيقول:

عسى ذلك العام الجديد يسرني \*\*\* ببشرى. وهل للبائسين بشير؟

وينظر لي رب الأريكة نظرة \*\*\* بها ينجلي ليل الأسى وينير<sup>(86)</sup>

<sup>83</sup> - محمد محمد حسين، (مص، س)، ص 208.

<sup>84</sup> - المصدر نفسه، ص 208.

<sup>85</sup> - نفسه، ص 208.

<sup>86</sup> - نفسه، ص 212.



ويعود ويقنع بطلب الإصلاح في ظل الراية البريطانية فيقول:

نرجو حياة حرة\*\*\* مضمونة في ظل راية

ونروم تعليما يكون\*\*\* له من الفوضى وقاية(87)

وإزاء كل هذه النزعات فقد انقسمت مصر إلى مؤيد ومعارض وآخر محايد مما فرض خوض الصحف في مهاترات فيقول عبد الله النديم: "أطلقت إنجلترا حرية المطبوعات والأفكار فرأينا الجرائد تتكلم بما تريد، وتتصرف في أفكارها كيف تشاء. هذه تقول: "أنا وطنية، أنا في خير البلاد وصالحها موقوف على جعل الأعمال بيد المصريين، تحوطهم عناية الحضرة والخديوية تحت مراقبة بريطانيا العظمى، حتى إذا رأتم قاموا بحكومة ثابتة مؤيدة بالقانون والحق النافذ، وفت وعدّها، وأجلت جندها وتركتهم يتمتعون بحريتهم في بلادهم، كما تتمتع البلغار والجبل الأسود....." (88) كما صورها حافظ إبراهيم على لسان سطيح فيقول: "فتق لي الدهن أن ألقى بنفسي في غمار المحررين وان أنشأ صحيفة أسبوعية فصحت عزيمتي على الدخول في زمرة الكتاب وان لم أكن منهم....." (89)

ويقول على لسانه في معنى الحرية وحدودها: "ألا يحدثنا ولي الله عن تلك الكلمة التي أخذها الناس على غير وجهها فذهبت فيها الظنون مذهبها وركبت الأوهام مراكبها ثم اسكنوها في غير معناه، وأرادوا منها غير ما أرادت منهم. فذلت بهم وذلوا بها. وكان ذلك علة هذه الفوضى التي تراها في الصحف، وذلك الفساد الذي سرى في الأخلاق؟" (90)

كما يقول محرم في تصوير الفساد الذي حدث في البلاد المصرية:

ولقد بلوت الكاتبين جميعهم\*\*\* فوجدت أكثر ما يقال دعاويا

شدوا العياب على هنات لو بدت\*\*\* ملأت مناديح الفضاء مساويا

لا بوركت تلك الأكف فإنها\*\*\* ضربت على الأبواب سدا عاتيا

<sup>87</sup> - محمد محمد حسين، (مص، س)، ص 213.

<sup>88</sup> - المصدر نفسه، ص ص 216، 217.

<sup>89</sup> - نفسه، ص 217.

<sup>90</sup> - نفسه، ص 218.

حجبت صديق الرشد عنها فارتمت \*\*\* تجتاب ليل الغي اسفع داجيا  
سلي أنبئك اليقين فإن لي \*\*\* علما بما تخفي السرائر وافيا  
ألفيت أصدق من بلوت مدهانا \*\*\* ورأيت أمثل من رأيت مداجيا<sup>(91)</sup>  
ويرجع حافظ إبراهيم ويرمي كلمته إلى حسين كامل طالبا منه توحيد الكلمة:  
هلاك الفرد منشوه توان \*\*\* وموت الشعب منشوه انقسام  
وإنا قد ونينا وانقسمنا \*\*\* فلا سعي هناك ولا وئام  
فساء مقامنا في أرض مصر \*\*\* وطاب لغيرنا فيها المقام  
فلا عجب إذا ملكت علينا \*\*\* مذهبنا.....وأكثرنا نيام  
حنين. حسين، أنت لها فنّبه \*\*\* رجالا عن طلاب الحق ناموا  
أفّض في قاعة الشورى وثامنا \*\*\* فقد أودى بنا وبها الخصام<sup>(92)</sup>  
ولمحرم هو الآخر قول في ذلك كذلك:  
بلوت المدعين بلاء صدق \*\*\* فلا أدبا وجدت ولا خلاقا  
دعاة الشر يتفقون فيه \*\*\* ولا يرجعون في الخير اتفقا  
وإذا كان الهوى دلقوا سراعا \*\*\* وإذا كان الهدى ركبوا الأباقا  
كأن بهم غداة يقال سيروا \*\*\* إلى العلياء قيذا أو وناقا  
أسارى في قيود الجهل تأبى \*\*\* لهم أخلاقهم منها انطلاقا  
لبئس القوم. ما منعوا ذمارا \*\*\* ولا رفعوا لصالحه رواقا  
ألست ترى مجال الجد فيهم \*\*\* على سعة الجوانب كيف ضاقا<sup>(93)</sup>  
علاوة على ذلك لم يتسنى لشوقي إلا ليمدح عباسا قائلا:  
وطني أسفت عليك في عيد الملا \*\*\* بكيت من وجد ومن إشفاق  
لا عيد لي حتى أراك بأمة \*\*\* شتاء راوية من الأخلاق

<sup>(91)</sup> - محمد محمد حسين، (مص، س)، ص 219.

<sup>(92)</sup> - المصدر نفسه، ص 220.

<sup>(93)</sup> - نفسه، ص 221.

ذهب الكرام الجامعون لأمرهم \*\*\* وبقيت في خلف بغير خلاق  
أيظُلُّ بعضهم لبعض خاذلاً \*\*\* ويقال شعبٌ في الحضارة راق  
وإذا أراد الله إشقاء القرى \*\*\* جعل الهداة بها دعاة شقاق<sup>(94)</sup>

وفي ختام القصيدة الحزينة التي هنا بما السلطان حسين كامل بعد عزل عباس:  
يا أهل مصر كلوا الأمور لربكم \*\*\* فالله خير مؤثلاً ووكيلاً  
جرت الأمور مع القضاء لغاية \*\*\* وأقرّها من يملك التحويلاً  
أخذت عناناً منه غير عنانها \*\*\* سبحانه متصرفاً ومدبلاً  
هل كان ذلك العهد إلا موقفاً \*\*\* المسلطتين وللبلاد وبيلاً  
يعتزُّ كلُّ ذليل أقوام به \*\*\* وعزيز كُـمُ يُلقِي القياد ذليلاً  
دفعت بنافيه حوادث وانقضت \*\*\* إلا نتائج بعدها وذيولاً  
حتى انطوت تلك السنون كملعب \*\*\* وقد غتم من أهلها تمثلاً  
وإذا أراد الله أمراً لم تجحد \*\*\* لقضائه رداً ولا تبديلاً<sup>(95)</sup>

<sup>(94)</sup> - المصدر نفسه، ص 222.

<sup>(95)</sup> - نفسه، ص ص 222، 223.

### المبحث الخامس: النزاعات الإصلاحية

إن السياسة والإصلاح كلمتان متناقضتان لفظا ومعنا، ومكملان لبعضهما البعض فالسياسة يمكن أن تكن إصلاح، والإصلاح يهدف إلى أهداف سياسية، فتوحي كلمة الإصلاح إلى الهدوء في حين توحي السياسة إلى تنظيم الدولة وعلاقتها بغيرها وسياسة أمور الدولة الخارجية قائمة على كليهما، وأهم ما يواجه كل من الاصطلاحي والسياسي هو كيفية بناء دولة قوية راقية في مجتمع آل إليه الخراب<sup>(96)</sup>

فالمجتمع المصري قد اكتسحته حلة من الفقر والجهل واليأس، وكل صفة تؤدي للضياع، وقد صور ذلك عبد القادر النديم في روايته الوطن، حيث عرض صورا عن مختلف الطبقات الاجتماعية في هذا المجتمع على اختلافها وها هو القروي يشكو همه إلى صاحبه في حين يصور ابن النديم كذلك لونا آخر من الحوارات التي دارت بين هذين القرويين و المقصود هاهنا بين أبو دعموم وأبو الزلفى وبين الحاج حسين والمعلم أبو العلا وهما من سكان المدن وكيفية معاناتهم من سوء الحكم<sup>(97)</sup>

ينتقل عبد الله النديم بعد ذلك ليقدم حوارا بين الوطن وبين أهل الإسكندرية، ولا يختلف في دلالاته كما سبق إضافة إلى أنه صور أحوال الناس قبيل الثورة العرابية، والتي مرت في حياتهم سريعا وكأنها شيء لم يكن وهنا قد أيقض في نفوس العقلاء روح الشعور بالمسؤولية اتجاه الشعب بإصلاحهم وإفهامهم لمعنى التوكل على الله ومن ذلك ما جاء به حافظ إبراهيم في قصيدته مصورا يأسه في إصلاح المجتمع فيقول:

أنا لولا أن لي من أممي \*\*\* خاذلا ما بت أشكو النوايا  
أمة قد فت في ساعدها \*\*\* يعضها الأهل وحب الغربا  
تعشق الألقاب في غير العلا \*\*\* وتفدي بالنفوس الرتبا  
وهي والأحداث تستهدفها \*\*\* تعشقا للهو وتهوى الطربا  
لا تبالي لعب القوم بها \*\*\* أم بها صرف الليالي لعبا<sup>(98)</sup>

<sup>(96)</sup> - محمد محمد حسين، (مص، س)، ص 224، 226.

<sup>(97)</sup> - المصدر نفسه، ص 226، 228.

<sup>(98)</sup> - نفسه، ص 232.

وقال أيضا:

سكت فاصغروا أدبي \*\*\* وقلت فاكبروا أربي  
وما أرجوه من بلد \*\*\* به ضاق الرجاء وبي؟  
وهل في مصر مفخرة \*\*\* سوى الالقابي والرتبي؟  
وذي ارث يكاثرنا \*\*\* بمال غير مكتسبي  
وفي الرومي موعضة \*\*\* لشعب جد في اللعب  
يقتلنا بلا قود ا دية ولا رهب (99)

ولي محرم جزءا في ذلك التصوير فيقول في قصيدته:

أكل امرئ في مصر يسعى لنفسه \*\*\* ويطلب أسباب الحياة لذاته؟  
طروب الأماني مايبالي بشعبه \*\*\* وان ملا الدنيا ضجيج نعاته  
يرى نفسه فوق الملائكة عفة \*\*\* وقد ضجت الجنان من فتكاته  
إذا نال مايرجوه لم يعنه امرؤ \*\*\* سواء ولم يحفل بطول شكاته  
يظل كان الحق يتبع خطوه \*\*\* إذا سار يبغي الغنم فوق وفاته  
سواء عليه منزل السخط والرضي \*\*\* إذا نال ما يرضيه من شهواته (100)

إن قيام النهضة في دولة اغتصبت أراضيها وأرزاقها كما أشار إليه رجال السياسة في رؤيتهم للاحتلال، وهذا ما تناولته الصحافة في حرية التعبير عن عيوب المجتمع وآفاته ووسائل معالجته، إذ نتج عنها بروز طائفتين متميزتين من المصلحين: طائفة تأخذ بأساليب الحضارة الغربية وطائفة تدعو إلى الاحتفاظ بالأصالة الإسلامية والشرعية. وقد ظهر في الأدب والفن فريقان أيضا، فريق يتخذ من الفنية الأوروبية وآخر يستمد من بديع العرب الذي أدى إلى تناقض في الحياة المصرية، حيث لقب الفريق الثاني بالمتفردين، إذ مثلت في ذلك صحيفة "الأهرام" الاتجاه الأول و"المقطم" الاتجاه الثاني لتنشر هذه الأخيرة مقالة بعنوان "الناس إخوة" جاء فيه "وامتزاج الأمم من أقوى الوسائل الطبيعية لترقيتها وإضعاف خلق الأثر من التباعد وتقوية خلق الإيثار والتواد. فعلى الذين يهتمون

<sup>99</sup> - محمد محمد حسين، (مص، س)، ص 233.

<sup>100</sup> - المصدر نفسه، ص ص 233، 234.

بإصلاح نسل الإنسان وترقيته جدا وعقلا إن يسعوا في إقناع أبناء نوعهم أنهم وسائر الناس من طينة واحدة، ولا يمتاز بعضهم على بعض إلا بالفضائل المكتسبة وان كانت الأديان قد فرقت بينهم فيما مضى فعلى زعمائها إن يزيلوا أسباب التفريق الآن. وان كان رجال السياسة يسعون إلى أحكام أسباب العداء بين امة وأمة وشعب وشعب، فعلى علماء الاجتماع يحبطوا مساعيهم ويسفهاوا آراءهم. وعلى رسل الخير دعاة الأديان أن يجعلوا غرضهم الأول التعليم بان الله صنع من دم واحد كل امة من الناس يسكنون على كل وجه الأرض. <sup>(101)</sup>

إن دعاة الحضارة الغربية والمفتونين بما فيها جعلوا الإسلام ضعيف في نظر الغرب، وهذا ما ادعاه كرومر أن الإسلام ناجح كعقيدة ودين فاشل كنظام اجتماعي ليرد عليه محمد عبده في مقالته المشهورة 1900 محتواها أن الحضارة الإسلامية هي غير الثقافة الغربية، فهناك من رأى نهضة الشرقيين هي الأخذ بأساليب الغربيين، أما حافظ إبراهيم فقد رأى عكس ذلك من خلال قصيدته في جعل كلية البنات الأمريكية بمصر سنة 1906:

أي رجال الدنيا الجديدة مدوا \*\*\* لرجال الدنيا القديمة باعا  
وأفيضوا عليهم من أيادي \*\*\* كم علوما وحكمة واختراعا  
ليتنا نفتدي بكم أو نجاري \*\*\* كم عسى نسترد ما كان ضاعا  
إن فينا - لولا التخاذل - أبطا \*\*\* لا إذا ما هم استقلُّوا البراعا  
وعقولا لولا الخمولُ تولّا \*\*\* ها لفاضت غرابةً وابتداعا  
ودعاةً للخير لو أنصفوهم \*\*\* ملأوا الشرقَ عزّةً وامتناعا <sup>(102)</sup>

لينشأ عن هذا التقليد مؤسسات إذاعية وصحفية تواصلية جردتهم من الدين والعرق فظهرت الحرية الشخصية والدينية إلى جانب تحرير المرأة التي تزعمها مصطفى كامل ومن تبعه وهذا ما عبر عنه كتاب "طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد" للكواكبي الذي تناول اثر الاستبداد في فضاء الأخلاق وفقدان الإرادة يقول: "لا تكون الأخلاق أخلاقا ما لم تكن مطرّدةً على قانون، وهذا ما يسمى عند الناس بالناموس، ومن أين لأسير الاستبداد أن يكون صاحب ناموس وهو كالحیوان المملوك العنان،

<sup>(101)</sup> - محمد محمد حسين، (مص، س)، ص ص 237، 238.

<sup>(102)</sup> - المصدر نفسه، ص 243.

يقاد حيث يراد ويعيش كالريش يهب حيث يهب الريح، لا نظام ولا إرادة. وما هي الإرادة؟ هي أم ناموس الأخلاق. هي ما قيل فيها تعظيماً لشانها: "لو جازت عبادة غير الله لا اختار العقلاء عبادة الإرادة" (103)

ويقول أيضاً في إفساد الاستبداد للدين: "والاستبداد ربح صرصر فيه إعصار يجعل الإنسان كل ساعة في شأن. وهو مفسد للدين في أهم قسميه الأخلاق والعبادات، أي الأخلاق. وأما العبادات منه فلا يمسه لأنها تلاؤمه في الأكثر. ولهذا تبقى الأديان في الأمم المأسورة عبارة عن عبارات مجردة صرت عادات، فلا تفيد في تطهير النفوس شيئاً، فلا تنهى عن فحشاء ولا منكر، وذلك لفقد الإخلاص فيها تبعاً لفقدتها في النفوس التي ألفت أن، تلجأ وتتلقى بين يدي سطوة الاستبداد في زوايا الكذب والرياء والخداع والنفاق. ولهذا لا يستغرب في الأسير الأليف تلك الحال أن يستعملها أيضاً مع ربه وأبيه ومع قومه وجنسه، حتى مع نفسه." (104)

وكذلك يقول في إفساد التربية "الاستبداد يضطر الناس إلى استباحة الكذب والتحايل والخداع والنفاق والتذلل ومراغمة الحس وإماتة النفس، إلى آخره. وينتج من ذلك أنه يربي الناس على هذه الخصال. بناءً عليه يرى الآباء أن تعبه في تربية الأبناء تربية الأولى لا بد إن يذهب يوماً عبثاً تحت أرجل تربية الاستبداد كما ذهبت تربية آبائهم لهم سدى. ثم إن عبيد السلطة التي لا حدود لها هم غير مالكين أنفسهم ولهم آمنون على أنهم يربون أولادهم لهم، بل هم يربون أنعاماً للمستبدين وأعواناً لهم عليهم. وفي الحقيقة أن الأولاد في عهد الاستبداد سلاسل من حديد يرتبط بها الآباء على أوتاد الظلم والهوان والخوف والتضييق فالتوالد من حيث زمن الاستبداد حمق والاعتناء بالتربية حمق..... بل هو معرض لهتك الفساق من المستبدين والأشرار من أعوانهم، خصوصاً في الحواضر الصغيرة والقرى المستضعفة أهلها" (105).

فالمجد حسب الكواكبي لا ينشأ في ظل الاستبداد بل في ظل طبقة سماهم المتمجدين، لكن هذا لا ينفي وجود هذه الصفة في سائر موظفي الدولة وشعبها البسيط، أما الاتجاه الثاني أصحابه أتباع

(103) - محمد محمد حسين، (مص، س)، ص ص 246، 247.

(104) - ينظر: المصدر نفسه، ص 248.

(105) - نفسه، ص ص 248، 249.

الحضارة الغربية المنشدين بفصل السلطة الدينية عن السلطة المدنية أي دعاة التحرر والكنيسة، حيث انتهى هذا الصراع بانتصار دعاة التحرر. فيقول: " التَّمجُّد خاص بالإرادات المستبدة، وهو القربى من المستبد بالفعل كالأعوان والعمال، أو بالقوى، كالملقبين بنحو دوق وبارون، والمخاطبين بنحو رب العزة ورب الصَّوِّلة أو الموسومين بالنياشين ..... وبعبارة أوضح وأخصر: هو أن يصير الإنسان مستبداً صغيراً في كنف المستبد الأعظم" (106).

كما يقول: "المتمجدون يريدون أن يخدموا العامة - وما يخدمون إلا أنفسهم - بأنهم أحرار في شؤونهم لا يزاح لهم نقاب، ولا تُصَفَع لهم رقاب. فيُحوجهم هذا المظهر الكاذب لتحمل الإساءات والإهانات التي تقع عليهم من قبل المستبد، بل للحرص على كتمها بل على إظهار عكسها، بل على مقاومة من يدعي خلافها، بل على تغليط أفكار الناس في حق المستبد وإبعادهم من اعتقاد أن من شأنه الظلم ..... وهذا ما يقصده المستبد من إيجاد المتمجدون" (107).

لقد أدى نظام التوظيف في عهد إسماعيل إلى اختفاء أصحاب الثقافة الدينية في ميادين الإصلاح إذ أن نجاح هذا الاتجاه يعود إلى قوى خفية مدته بالوقود والخطب.

لقد تناول هذا الاتجاه وصوره عبد القادر حمزة تحت عنوان "خطر علينا وعلى الدين". إن الاستبداد لم يقتصر على التعليم والدولة، بل أصبح يسري كالدَّم الجاري في سائر موظفي الدولة المستبدة كبيرهم وصغيرهم حيث يقول الكواكبي في هذا المقال: "الحكومة المستبدة تكون طبعاً في كل فروعها، من المستبد الأعظم إلى الشرطي إلى الفراش إلى كناس الشوارع، ولا يكون كل صنف إلا من أسفل أهل طبقتة أخلاقاً، لأن الاسفل لا يهتمهم جلب محبة الناس. إنما غاية مسعاهم اكتساب ثقة المستبد فيهم بأنهم على شاكلته وأنصار دولته ويشاركونه ... إن العقل والتاريخ والعيان، كلٌّ يشهد بأن الوزير الأعظم للمستبد هو اللئيم الأعظم في الأمة ثم من دونه من الوزراء يكونون دونه لوماً، وهكذا تكون مراتب لومه حسب مراتبهم في التشريعات... كيف يكون عند الوزير نزعة من الشفقة والرأفة على الأمة، وهو العالم بأنها تبغضه وتمقته وتتوقع له كل سوء لم يتفق معها مع

(106) - محمد محمد حسين، (مص، س)، ص 249.

(107) - المصدر نفسه، ص ص 249، 250.



المستبد، وما هو بفاعل ذلك أبداً ..... ويتمرد على أهل قريته وذويته ويكظ أسنانه عطشاً للدماء لا يميز بين أخ أو عدو" (108).

هكذا صور الكواكبي في كتابه آثار السلطة المطلقة التي لا يجدها قيد في الحكام وفي المحكومين على الهوء ليصل آخر الأمر إلى أن كل عللنا يمكن أن تُردَّ آخر الأمر إلى الاستبداد. أما الاتجاه الثاني الذي تأثر أصحابه بالحضارة الغربية الذي دعا إلى الفصل السلطة الدينية عن السلطة المدنية وهذا ما أطلقوا عليه تسمية "عصر النهضة" (109)

يعود تأخر الدولة المصرية عن مواكبة التطور والنهوض إلى استقراء طبقات الأمة من كتاب وشعراء وصحفيين بسبب إهمالهم للدين، لكن هذا لا يعني أن هذا الأخير هو سبب لكل شيء، ويختتم مقاله بالمطالبة بترك الدين بمكانته الطاهرة البيضاء، وأن القرآن منزل للجميع ولكل أمة الحرية في عقيدتها كما بينه عبد القادر حمزة في قوله: "هذا كله، وكثيرٌ غيره لا يتسع المقام لإفاضة الشرح فيه، يدل على مبلغ تسلط الدين على عقولنا، وانخداع أفهامنا انخداعاً لا مثيل له لكل ما يأتي من جانب الدين. بل يدل على استسلامنا استسلاماً أعمى إلى ماضيها الذي يجب أن نتعد عنه كل الابتعاد، إن كنا نريد ألا نبقى كما نحن وكما كنا جهلاء وضعفاء" (110)

وقد كان السلطان عبد الحميد من دعاة الحرية والمناداة بفصل السلطة الدينية عن السلطة المدنية، حيث كُتب العديد من الكتب في هذا اللون ككتاب الشاميون بعنوان "أم القرى" للكواكبي المعالج لأسباب ضعف الأمم الإسلامية وتخلفها، حيث دعا لجعل الخلافة للعرب والسلطة للترك، وذلك لأن العرب هم أهلها وهي ملكهم، إضافة إلى هذا الكتاب نذكر "ذكرى وعبرة" الدولة العثمانية قبل الدستور وبعده لسليمان البستاني الذي تناول فيه تصور الفساد الاجتماعي، حين قال: "ولكن هذا الجسم على قوته الكامنة، وإن شئنا فقل، على ضعفه الظاهر، لم يقو على تحمل أذية الحكومة الغابرة بما انتابه من ضروب الظلم في عصر ليس كالعصور السالفة، يساق الناس فيه سوقاً ويتخذ فيه من دون الله أرباب ظالمون. فألوية الحكومات الدستورية قد انتشرت من أقصى المغرب إلى أقصى المشرق،

(108) - محمد محمد حسين، (مص، س)، ص ص 250، 251.

(109) - المصدر نفسه، ص ص 253، 254.

(110) - نفسه، ص 258.

وكواكب الحرية قد سطعت حولنا واكتنفتنا من الجهات الأربعة. هذا وأرباب الأمر فينا يودون بقاءنا في ظلمة مدلهمة" (111)

ويعصور البستاني إسراف عبد الحميد في التضييق على الصحافة فيقول: "فكم من جريدة ألغيت أو أوقفت لزمن محدود أو غير محدود لخبر روته عن جرائد أوروبا ينبئ بمقتل وزير في الصين أو أمير في إفريقيا، أو اختراع ذكرته لآلة تطير في الهواء أو غواصة تسير تحت الماء، بل كم من مرة فاجأ الجريد أمر بتعطيلها، وظل صاحبها يبحث أشهراً فلا يعلم لذلك سببا غير (الإيجاب). بل كم من مرة انقضت الصواعق على رأس الصحافي لجهله إن هذه الكلمة أو تلك قد اعتزت بحكم الاستبداد من معجم الألفاظ الكتابية كالقانون الأساسي، والخلق وما اشتق منه، والجمهورية، والديناميكي، والثورة والانصاف والحرية..." (112)

ويعصور أيضا القيود المفروضة على حرية التأليف فيقول إن هذه القيود لم تكن تحددها إلا الإرادات فلم ينشر كتاب إلا بعد عرضه على مجلس التفتيش والمعاينة وكذلك الحال بالنسبة للرسائل التي تعرضت للمراقبة أيضا وليتجه الناس إلى مكاتب البريد الأوروبية فأصبحت، هذه الأخيرة طريقا لنقل أخبار الفساد بين أنصار وأعداء عبد الحميد.

ولم تسلم الجماعات والأندية من الرقابة أيضا، إضافة إلى ذلك فقد تناول فساد نظم التعليم الذي حرّمته من كل علم نافع، ومن ذلك قول نسيم في قصيدته لعبد الحميد ينصحه بالاستجابة لدعوى المصلحين: فيقول:

وليت بلاداً حلّق الجورُ فوقها \*\*\* وحط عليها كالعقاب فخيّما  
تناوئ فيها الحادثاتُ أديها \*\*\* وتنبذ منها الحادق المتعلما  
إذا لم تداركها برأي وحكمة \*\*\* تبيت لفتّاح الممالك مغنما  
بحيث يكون الملك فرعا مشدبا \*\*\* وحيث يصير التاج نهباً مقسما  
هناك يبيد الله شعبك مثلما \*\*\* أباحت صروف الدهر طسما وجرهما

(111) - محمد محمد حسين، (مص، س)، ص ص 260، 264.

(112) - المصدر نفسه، ص ص 266، 267.

فهل ل كان تجري العدالة بينهم \*\*\* فيلهج بالشكران من كان مسلماً<sup>(113)</sup>  
 أما الاتجاه الثالث الذي تأثر أصحابه بالحضارة الأوروبية الذي اعتمد على الحرية الشخصية  
 وتخليص تفكيرنا الاجتماعي من سلطان رجال الدين الذي نتج عنه كتابيين لقاسم أمين الأول بعنوان  
 "تحرير المرأة" والثاني "المرأة الجديدة" وتناولها من أربعة جوانب الحجاب واشتغال المرأة بالشؤون العامة  
 وتعدد الزوجات والطلاق، حيث ذهب في كل مسألة إلى ربطها بالمذهب الغربي حيث أورد قوله  
 تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا  
 يَصْنَعُونَ﴾<sup>(114)</sup> إلى آخر الآية التي أباححت أن تظهر بعض أعضاء من جسم المرأة أمام الأجنبي  
 عنها، ومن هذا يظهر منهج المؤلف في التوفيق بين الإسلام وبين مذاهب الغربيين إذ دعا في كتابه  
 إلى الأخذ بأساليب هذه الأخيرة التي يمثلها أنصار الفريق الأول أما الثاني فهم دعاة التمسك بالدين  
 والتقاليد.

حيث اتجه الشعراء إليهم بتذكيرهم بمجد الإسلام القديم يقول محرم:  
 تذكّر ماضي دينه فتوجعا \*\*\* وأحزنه ما نابته فتعجبا  
 وأهلكه من قومه أن قومه \*\*\* بعمياء يأبى غيمها أن يقشعا  
 وكائن دعاهم بالقوافي إلى الهدى \*\*\* فلو اسمع الصمّ الدعاء لأسمعا  
 لقد زادهم ذاك الدعاء ضلالة \*\*\* فيا ليتهم لم يسمع الصوت إذ دعا  
 وكيف وجوم المرء أصبح دينه \*\*\* مهانا وقد كان العزيز الممنعاً؟  
 هم ضيعوا ما استود عوامن نفائس \*\*\* أراها بأيدي القوم نهباً موزعاً<sup>(115)</sup>

وهذا ما بينه الكاشف أن الغرب اشتدوا في تقدمهم على تقاليد الإسلام، أما نحن فقد ابتعدنا  
 عنها ودليل ذلك ما تناوله احمد شوقي في القصيدة "نهج البردة" لتليها قصائد أخرى تناولت مواضيع  
 إسلامية كالهزيمة النبوية، ذكرى المولد، دول العرب وعظماء الإسلام حيث دافع فيها عن عثمان  
 بن عفان حين قال:

<sup>(113)</sup> - محمد محمد حسين، (مص، س)، ص ص 268، 269.

<sup>(114)</sup> - سورة النور، الآية 30.

<sup>(115)</sup> - محمد محمد حسين، (مص، س)، ص ص 292، 293.

فإن تسلل ماذا أتى عثمان؟ \*\*\* مما يرد الدين والإيمان

نجد دعاوي القوم لفوقها \*\*\* وسلعا بالدين تفقوها

زروا على الإمام ما لا يزرى \*\*\* واركبوه الحسنة وزرا

واستنكروا علوه بالدور \*\*\* عن دارة الثلاثة البذور

وقال قوم خالف الأترابا \*\*\* وحالف الثراء والإترابا

وكرهوا التمصير والتمديننا \*\*\* وزعموا الدنيا تعفى الدنيا<sup>(116)</sup>

فهو يرى أن الإسلام رسم حكومة قوامها العدل والمساواة ليظهر بين هاتين النزعتين "الغربية والإسلامية" اتجاه يرمي إلى توفيق بين الإسلام والحضارة الغربية نزعة الشيخ "محمد عبده" وأستاذ "جمال الدين الأفغاني" أنصار الماسونية في مصر، التي ظهرت أثناء الحوادث العراقية 1882، ونجد محمد عبده قد تناول عدة مواضيع كالفرق بين الجبرية والإيمان بالقضاء القدر، إضافة إلى مقاله اللذات نشرهما في العروة الوثقى "النصرانية والإسلامية وأهلها" والثانية بعنوان "الأمل وطلب المجد" ويختتم مقاله هذا بآيات قرآنية كقوله تعالى "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ"<sup>(117)</sup> " ناصحا فيها المسلمين بأن الإسلام النابع الروحي في نمو الأمم.

أما بعد عودته من المنفى قد دعا إلى التقريب بين الإسلام والحضارة الغربية والموازنة بين الديانتين كما جاء بها وتناولها هانوتو فقال: "إن المسائل الأساسية في كل دين هي التي تربط بالقدر والمغفرة والحساب. وقال إن نظرة الأديان والمفكرين إلى هذه المسائل تتمثل في اتجاهين: اتجاه يقول بتناهي الربوبية في العظمة والعلو، ويجعل الإنسان في حضيض الضعف ودرك الوهن. واتجاه آخر يرفع مرتبة الإنسان ويحوله حق القرى من الذات الإلهية بما فطر عليه من إيمان وإرادة، وبما أتاه من أعمال صالحة وحسنة. ثم قال هانوتو إن نتيجة الاتجاه الأول هو تحريض الإنسان على إغفال شؤون نفسه، وبت القنوط في قلبه وتثبيط همته. أما الاعتقاد بمذهب الفريق الثاني فهو يؤدي إلى الجلال والعمل. ومثل للاتجاه الأول بالديانة البوذية كما مثل للاتجاه الثاني بالثقافة اليونانية....."<sup>(118)</sup>، هذا ما

<sup>(116)</sup> - محمد محمد حسين، (مص، س)، ص ص 297، 298.

<sup>(117)</sup> - سورة محمد الآية 07.

<sup>(118)</sup> - محمد محمد حسين، (مص، س)، ص 327.

جاء في مقاله ليرد عليه محمد عبده في ثلاثة مقالات، أما المقال الأول فقد اتهم فيه هانوتو بتحريك نيران العداوة بين المسلمين والمسيحيين ليتناول في مقاله الثاني مناقشة مسألة القدر والجبر عند الآريين والساميين أو النصراري والمسلمين، أما مقاله الثالث فقد أدرجه تحت عنوان التوحيد والتنزيه، وتجسد الألوهية والتشبيه، ليرد عليه هانوتو من جديد بمقال نشرته جريدة "المؤيد" نافيا تلك الاتهامات وأنه أتى لإقامة السلام فقط، ولم يسكت محمد عبده بثلاث مقالات شرح فيها علل الأمم الإسلامية ورسم الطريق لعلاجها، وهذا ما جعل الشعراء ينشدونه كحافظ إبراهيم والكاشف حين قال:

فأريت أهل الشرق أن صلاحهم \*\*\* بنفوسهم لا بالملوك مؤكد  
وأبنت للمغلوب علة عجزه \*\*\* ومراس غالبه فهم يقلد  
من بعد ما أمضى الليالي خائفا \*\*\* مترقبا أو ذا شكاة يحقد  
وأضله نَفْرُ يرون نجاته في أن \*\*\* يسبوا من بغى ويعربد  
... يتطلب الدستور أقوام، ولو \*\*\* وليتَ حكم شعوب قيصر اخلد  
وغدا يودُّ غلاته وحماته \*\*\* لو أطلقوا لك أمرهم وتقيّدوا<sup>(119)</sup>

وقد تجلّى أثر دعوة محمد عبده لدى كثير مما ألفه تلامذته ومعاصروه ومن ذلك ما كتبه رفيق العظم (وهو أحد تلامذته)، ليرد على الذين يزعمون أن سبيل الإصلاح هو إتباع الغريبيين ونبذ الدين فقال: "رب قائل يقول: ما أغنى هؤلاء المصلحين عن إصلاح الدين، وأحراهم بالدعوة إلى إصلاح أمر الدنيا، وبيان وجوه الخير والسعادة، التي تتم بها سعادة الأمم الراقية التي نبذت الدين. فالجواب عن ذلك أن المرض إنما يزول بزوال سببه. وإذا علمنا أن سبب انحطاط المسلمين اتخاذهم البدع والعوائد ديناً، وهي ليست من الدين، واستسلامهم بسبب ذلك للرضا بما وجدوا عليه آباءهم الأولين ..... إذ يجدون يومئذ كل الأمة آذاناً مصغية لما يقولون، وقلوباً واعية لما به ينطقون"<sup>(120)</sup>.

ليأتي بعده ويتتبع رفيق العظم تاريخ دخول البدع على الدين الإسلامي، مما استدعى ظهور مجموعة من المتشددين والغيورين لهذا الإسلام، وهذا ما جاء في قوله: "هذا هو الإسلام ببساطته

<sup>(119)</sup> - محمد محمد حسين، (مص، س)، ص 333.

<sup>(120)</sup> - المصدر نفسه، ص ص 334، 335.

ويسره وكان المتفقهون قلة من الصحابة. ولم يكونوا يجاوزون في فقههم واقع الأمر الذي يعين على معرفة أحكام الدين. فلما دخل كثير من الوثنيين وأهل الكتاب في الدين، نقلوا معهم جملة من الآراء الفلسفية والبدع العقلية، مثل بدعة معبد الجهني وعَيَّلان الدمشقي في القول بالقدر (واختلف أرباب المقالات بين جَبْرِيَّة وَقَدْرِيَّة ومشبَّهة... فالقيام والقعود والأكل والشرب والتخاطب والتعامل والعلم والتعلم كله بالدين ومن الدين وللدين. وبالجملة لم يدعوا شيئاً من العوائد إلا ادخلوه في الدين" (121) ثم جاء عبد العزيز جاويش أستاذه "الشيخ محمد عبده" في منهجه فأنشأ مجلة (الهداية) سنة 1910 ثم فسر فيها القرآن على ضوء أسلوب شيخه في تقريب الإسلام من قيم العصر وثقافته، وقد ساندته في ذلك "الشيخ طنطاوي جوهرى" في التوفيق بين الإسلام ومذهب دارون في التطور، يقول فيه: "إني قرأت تلك المحاورات. وعلمت ما في تلك القضايا، ولم أرى شيء يغاير الدين، ولا فكراً يضر بعقائد المسلمين. فالإسلام يأمر الناس باليقين، ولا يقين إلا بالعلوم التي يسميها الناس عصرية وهي في الحقيقة علوم إسلامية" (122).

وقد دعا طنطاوي جوهرى أيضاً علماء المسلمين وشبابهم إلى الاستعانة على توفيق وإيمانهم بدراسة العلوم. "فقراءة التشريح والطبيعة والكيمياء وسائر العلوم العصرية، ودراسة الحيوان والنبات والإنسان، وأجل عبادة. وهي أفضل من سائر القربات كما شرحه العلماء وهي أفضل من صلاة النافلة والإحسان للفقراء. ولولا قصور العلماء القرون الماضية ما ضاع المسلمون، وما أحاطت بهم عدايات الدهر، ولا أصابته كوارث الحدثن" (123).

وأما المحافظون من دعاة الإصلاح الإسلامي يهاجمون الفريق الأول ويتهمونه بالتفرنج وهدم الإسلام. وذلك في قصيدة لمحرم يهاجم فيها "قاسم أمين" في دعوته إلى تحرير المرأة فيقول:

أغرَّك يا أسماء ما ظن قاسم؟ \*\*\* أقيمي وراء الخدر فالمرء واهم

تضييقين ذرعاً بالحجاب، وما به \*\*\* سوى ما جنت تلك الرؤى والمزاعم

سلام على الأخلاق في الشرق كله \*\*\* إذا ما استُبيحت في الخدور الكرائم

(121) - محمد محمد حسين، (مص، س)، ص 335.

(122) - المصدر نفسه، ص 336.

(123) - نفسه، ص 337، 338.

أقسامٌ لا تقذف بجيشك تبتغي \*\*\* بقومك والإسلام ما الله عالم  
لنا من بناء الأولين بقيةٌ \*\*\* تلوذ بها أعراضنا والمحارم  
أسائل نفسي إذ دلقتَ تريدها \*\*\* أنت من البانين أم أنت هادم؟<sup>(124)</sup>  
إلى جانب هذين الاتجاهين ظهر اتجاه ثالث يريد أصحابه أن يجمعوا بينهما ويوفقوا بين الطرفين  
فنادوا أن الإسلام هو الأساس الذي يقوم عليه الإصلاح، وفسروا نصوصهم انطلاقاً من أساليب  
التفكير الغربي<sup>(125)</sup>.

<sup>124</sup> - محمد محمد حسين، (مص، س)، ص ص 346، 347.

<sup>125</sup> - ينظر: المصدر نفسه، ص ص 348، 349.

# الفصل الثاني

(دراسة وتحليل)



نريد في هذا الفصل الوقوف على بعض القضايا التي عالجها المؤلف في كتابه السالف الذكر والذي لخصناه في الفصل الأول بغية منا لعرض القضايا السياسية التي عالجها وعبر عنها أدباء المشرق العربي في الفترة الممتدة من بداية الثورة العربية إلى نهاية الحرب العالمية الأولى.

#### المبحث الأول: فكرة الجامعة الإسلامية:

تؤكد فكرة الجامعة الإسلامية على دائرة الانتماء العقائدي والحضاري والسياسي معاً، وقد أصبحت في العصر الحديث شعاراً استطلت بها دعوات وحركات سياسية جمعتها مقاصد استنهاض الأمة بالإسلام والدفع بها إلى الخروج من مأزق التبعية والتراجع الحضاري، مع التمايز في سبل ووسائل هذا النهوض تبعاً للملابسات الإقليمية والتوجهات المذهبية عند رواد هذه الحركات والدعوات.

ففي الوقت الذي عانت منه الأمة الإسلامية من مخاطر الاستعمار الغربي، دفع السلطان عبد الحميد الثاني بمشروع الجامعة الإسلامية التي أراد به ربط أجزاء الأمة مع بعضها البعض، ومقاومته للمشروع الصهيوني والماسونية.

وتعود فكرة الجامعة الإسلامية إلى جمال الدين الأفغاني التي كان ينادي بها من أجل توحيد الأمة الإسلامية، وقد تبنى عبد الحميد الثاني هذه الفكرة وقرب إليه جمال الدين الأفغاني، وجمع الشعوب الإسلامية تحت راية الدولة العثمانية وإصلاح أحوالهم في مواجهة الاستعمار الأوروبي، ووقف بالمرصاد لكل فكر تغريبي وعصبي.

جمع هذا الاتجاه بين الأصول الإسلامية وبين التجديد، وانطلق من مصر في سبعينيات القرن التاسع عشر إلى كل أنحاء العالم الإسلامي وتميزت دعوته بـ:

أ- الإصلاح الديني: من منطلق العقلانية الإسلامية التي توازن بين "الرأي" و "الأثر".

ب- محافظة على الدولة العثمانية، باعتبارها الدولة الإسلامية الجامعة.

ج- تجديد الصلات الحضارية مع الغرب واقتباس المناسب من حضارتها وعلومها، من واقع التمايز الثقافي والاستقلال الحضاري.

د- تحرير ثروات العالم الإسلامي من النهب الاستعماري والسيطرة الغربية.

وإذا كانت التحديات واختلال موازين القوى قد غالبت هذا التيار الإنقاذ، فحالت بينه وبين النجاح في تجديد الدولة العثمانية إلا أن دعوته إلى الجامعة الإسلامية هي المظلة التي عملت في ظلها كل دعوات التجديد الإسلامي<sup>(1)</sup>.

وقد كانت هذه الدعوة، جامعة لكل القوى الوطنية والقومية هذه الأخيرة التي دعت إلى الوحدة الوطنية في إطار الإقليم والدولة القطرية والعرف واللغة، مهملة بذلك الدائرة الحضارية الإسلامية. وهكذا أصبحت تركز على قضايا التحرر الوطني، ومحاربة التغريب الفكري إلى جانب تجديد الفكر الإسلامي.

#### أسباب تبني عبد الحميد لفكرة الجامعة الإسلامية:

- كسب الولاء لعرشه واستمالت الشعوب لخلافة ال عثمان بغض النظر عن أجناسهم وقومياتهم لكونها رابطة بين الدولة العثمانية والعالم الإسلامي وحامية للإسلام والمسلمين ضد الخطر الأوروبي
- سعى السلطان عبد الحميد لضرب الحركات القومية المنتشرة في الدولة التي تطالب بالانفصال عن الدولة العثمانية لان الإسلام دولة وشعب واحد وليس دويلات
- تثبيت مكانة الدولة العثمانية ضد الخطر الأوروبي من خلال كسب العناصر الغير تركية من خارج الدولة الى جانب السلطان
- الالتزام بمبادئ الجامعة الإسلامية يعني الالتزام بحدود الشريعة الإسلامية وهي عبارة عن بدليل لدستور مدحت باشا العلماني<sup>(2)</sup>.

#### أهداف الجامعة الإسلامية:

- مواجهة أعداء الاسلام المثقفين بالثقافة الغربية، والذين توغلوا في المراكز الإدارية والسياسية الحساسة، في أجهزة الدول الاسلامية عمومًا، وفي أجهزة الدولة العثمانية خصوصًا، عند حدهم، عندما يجدون أن هناك سدًا إسلاميًا ضخماً وقويًا يقف أمامهم.
- محاولة إيقاف الدول الاستعمارية الأوروبية وروسيا، عند حدها عندما تجد أن المسلمين، قد تكتلوا في صف واحد، وقد فطنوا إلى أطماعهم الاستعمارية ووقفوا ضدها بالوحدة الإسلامية.

<sup>(1)</sup> - محمد عمارة، [www.islamweb.net/media/index.php?page=article&lang=A&id=4612](http://www.islamweb.net/media/index.php?page=article&lang=A&id=4612)

<sup>(2)</sup> - <https://sites.google.com/site/tarekharab/jaaslameh>

- إثبات أن المسلمين يمكن أن يكونوا قوة سياسية عالمية، يحسب له حسابها في مواجهة الغزو الثقافي والفكري الأوروبي النصراني.

- استعادة الدولة العثمانية بوصفها دولة الخلافة قوتها وبذلك يمكن إعادة تقويتها. فقد كان السلطان عبد الحميد، يهدف من وراء سياسته الإسلامية، تجميع مسلمي العالم تحت راية واحدة، وهذا لا يعني إلا هجمة مضادة، يقوم بها المسلمون ضد هجمة العالم الغربي التي استهدفت عالم المسلمين، فلا جنسية لهم الا في دينهم<sup>(3)</sup>.

معالم الجامعة الإسلامية:

#### أ- تطوير التعليم والاستعانة بالعلماء المسلمين

ولذلك استخدم السلطان عبد الحميد، كل الإمكانيات المتاحة في ذلك الوقت، من اتخاذ الدعاة من مختلف جنسيات العالم الاسلامي، من العلماء والمبشرين، في مجالات السياسة، والدعاة الذين يمكن أن يذهبوا إلى أرجاء العالم الاسلامي المختلفة، للالتقاء بالشعوب الاسلامية وفهم ما عندهم وإبلاغهم بآراء وتوجيهات السلطان الخليفة ونشر العلوم الاسلامية، ومراكز الدراسات الإسلامية، في الداخل والخارج، وطبع الكتب الاسلامية الأساسية.

#### ب- الاهتمام بالعرب العثمانيين

حاول السلطان عبد الحميد اتخاذ اللغة العربية لأول مرة في تاريخ الدولة العثمانية، لغة للدولة أو ما يسمى بالتعبير المعاصر "تعريب" الدولة العثمانية، حيث كان السلطان عبد الحميد يرى - منذ أن تولى الحكم - ضرورة اتخاذ اللغة العربية لغة رسمية للدولة العثمانية. وفي هذا يقول: (اللغة العربية لغة جميلة. ليتنا كنا اتخذناها لغة رسمية للدولة من قبل. لقد اقترحت على (خير الدين باشا -التونسي- عندما كان صدرًا أعظم أن تكون اللغة العربية هي اللغة الرسمية، لكن سعيد باشا كبير أمناء القصر اعترض على اقتراحي هذا. وقال: (إذا عرّينا الدولة فلن يبقى - للعنصر التركي- شيء بعد ذلك). وربما من الأخطاء التي وقعت فيها الدولة العثمانية عدم تعريب الدولة وشعبها

<sup>(3)</sup> - انظر محمد محمد حسين، (مص. س)، ص ص 4، 11.

بلغه القرآن الكريم والشرع الحكيم. وحاول السلطان استمالة زعماء القبائل العربية، وإنشاء مدرسة في عاصمة الخلافة، لتعليم أولاد رؤساء العشائر والقبائل، وتدريبهم على الإدارة. لقد كان لهذه الدعوة أصوات فكرية وأدبية عديدة أبرزها جمال الدين الأفغاني، الذي وجد بمصر طائفة من المستنيرين، وتطور في الثقافة، " فشجع هؤلاء الشباب على إنشاء الصحف وعلى الكتابة والتعبير عن آرائهم لتكوين رأي عام حتى يمكن الإصلاح، (...) وكان يكتب في الصحف بإمضاء مستعار. وكان من أثر دعوته هذه أن أنشأ أديب إسحق جريدته مصر والتجارة، وأنشأ يعقوب بن صنوع جريدته (أبا نضارة). وتدخل في تحرير الوقائع حين ولى أمرها الشيخ محمد عبده، فطلب إلى الكتاب أن يخوضوا في موضوعات معينة تمس الحياة الأمة في صميمها"<sup>(4)</sup>. كذلك محمد عبده، الذي نهج نهج جمال الدين الأفغاني،

<sup>(4)</sup> - عمر الدسوقي، نشأة النثر الحديث وتطوره، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، (د. ط)، 2007، ص 60.

## المبحث الثاني: الجامعة المصرية:

تعود جذور فكرة الجامعة المصرية الى القومية الأوروبية كفكرة أو اتجاه عقائدي سياسي ايديولوجي يتوخى قيام "الدولة/ الأمة" فنشأت في أوروبا القرن التاسع عشر. والقومية هي ظاهرة مجتمعية تعبر عن شعور طبيعي لدى فرد أو جماعة بالانتماء الى قوم معين صاحب شخصية تاريخية مميزة. وقد عرفت أوروبا في القرن السابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر ظروفاً سياسية واجتماعية واقتصادية وفكرية ولاهوتية معقدة، ما أدى الى انطلاق الحركة القومية فيها من عدة تيارات:

- اعادة النظر في الفكر الديني (اللاهوت) وفي المؤسسة الدينية (الكنيسة) قاد هذا التيار لوثر وكالفن والحركة البروتستانتية.

- انتشار التنوير الفكري (عصر التنوير) قاد هذا التيار روسو وهوبس وهيوم والحركة الليبرالية.

- التغيير في بنية المجتمع (من المجتمع الزراعي الاقطاعي الى الثورة الصناعية)

الحركة القومية في الغرب تجسدت في نظريتين قوميتين:

\* النظرية الفرنسية المرتكزة الى الارادة المشتركة أو وحدة الارادة.

\* النظرية الألمانية المرتكزة الى وحدة اللغة (هردر، فيخته)

أما في الوطن العربي فالقومية العربية، من حيث هي ايديولوجيا تعبير عن حركة سياسية، نشأت نشوءً عفويًا عشيةً انهيار الدولة العثمانية في أواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين. جاءت ردّة فعل على حركة التتريك من جهة أولى وعلى حركات التبشير والاستعمار الجديد، وجاءت متمثلة في حركة سرية تألفت من أجلها الجمعيات والخلايا في عاصمة الخلافة العثمانية، ثم في حركة علنية في جمعيات أدبية تتخذ من دمشق وبيروت مقرًا لها، ثم في حركة سياسية واضحة المعالم في المؤتمر العربي الأول الذي عقد في باريس سنة 1912م.

## - العروبة كحل

يعتبر الكواكبي (1855-1902) هو أبرز من حمل الدعوة القومية من بين المسلمين في الشام. ففي ثورته ضد الاستبداد والفساد العثماني، رأى الكواكبي أن الخلافة ينبغي أن تكون في يد العرب، الذين هم في قلب الإسلام من بين شعوبه العديدة.

كرس الكواكبي جهوده الفكرية والعملية لتنبية قومه على مخاطر الاستبداد وضرورة الحياة الدستورية الديمقراطية باعتبار أن ذلك هو المدخل الوحيد للخروج من دائرة الانحطاط وفي هذا الإطار، كان كتابه "طبائع الاستبداد" أول مؤلف في اللغة العربية يكرسه صاحبه لتشريح آليات الاستبداد ومفاعيله الفتاكة بالبنية الاجتماعية، حيث يقول: "الاستبداد يسلب الراحة الفكرية، فيضني الأجسام فوق ضناها بالشقاء، فتمرض العقول، ويختلُّ الشعور على درجات متفاوتة في الناس. والعوام الذين هم قليلو المادة في الأصل قد يصل مرضهم العقلي إلى درجة قريبة من عدم التمييز بين الخير والشر، في كلِّ ما ليس من ضروريات حياتهم الحيوانية. ويصل تسفُّل إدراكهم إلى أنَّ مجرّد آثار الأبهة والعظمة التي يرونها على المستبدِّ وأعوانه تبهر أبصارهم، ومجرّد سماع ألفاظ التفخيم في وصفه وحكايات قوته وصولته يزيغ أفكارهم، فيرون ويفكرون أنَّ الدواء في الداء، فينصاعون بين يدي الاستبداد انصياع الغنم بين أيدي الذئاب؛ حيث هي تجري على قدميها جاهدةً إلى مقرِّ حتفها"<sup>(5)</sup> (\*) .

ترد جذور الجامعة المصرية إلى الثورة العرابية " التي كانت تعبيراً عن شعور المصريين بالاضطهاد إزاء عنصر غريب عنهم هو العنصر الجركسي"<sup>(6)</sup> .

ففي 1 فبراير 1881 دعي وزير الحربية الضباط الثلاثة ( أحمد عرابي بك، علي فهمي بك، وعبد العالي حلمي بك) إلى قصر النيل وهناك تم القبض عليهم وتجريدهم من أسلحتهم وابداعهم في قاعة السجن تمهيداً لمحاكمتهم، فلما علم الآلاي الأول بقشلاق عابدين بالقبض على الضباط الثلاثة أمر البكباشي محمد عبيد بسرعة التوجه إلى قصر النيل لتحرير زملائهم، وهجم جنود الآلاي على القصر، وهرب عثمان رفقي من أحد النوافذ، وقام البكباشي محمد عبيد بتحرير الضباط الثلاثة، وخرجوا جميعاً بقيادة أحمد عرابي وتوجهوا إلى ميدان عابدين فيما عرف بمظاهرة عابدين الأولى، وهنا وجد الخديوي نفسه مجبراً على قبول طلبات عرابي ورفاقه، ونتج عنها:

<sup>(5)</sup> - عبد الرحمن الكواكبي، طبائع الاستبداد، دار موفم للنشر، الجزائر، (د. ط)، 1988. ص ص 92، 93.

(\*) - "كان الكواكبي قومياً عربياً لكنه لا يعزل عربيته وقوميته عن دائرة الجامعة الإسلامية، وكان مصلحاً إسلامياً يعمل لتجديد الإسلام كي تتجدد به دنيا المسلمين، لكنه يؤكد على تميز الأمة العربية في إطار المحيط الإسلامي الكبير"

<sup>(6)</sup> - محمد محمد حسين، (مص. ص)، ص 9.

- موافقة الخديوي وهو مرغم على عزل عثمان رفقي وتعيين محمود سامي البارودي بدلا منه.
- ارتفاع شأن عرابي كزعيم وطني مناهض للنفوذ الأجنبي.
- وفي 9 سبتمبر 1881 وصلت الثورة العرابية إلى ذروتها حيث تحركت جميع الوحدات العسكرية المتمركزة في القاهرة إلى ميدان عابدين مع أحمد عرابي، بل شملت أيضا مشاركة الشعب المصري بكل طوائفه نتيجة نمو الوعي القومي وسخط الشعب من سوء الأحوال الاقتصادية، ومعاملة رياض باشا القاسية للمصريين، ووصل أحمد عرابي أمام قصر عابدين وخرج الخديوي توفيق ومعه القنصل البريطاني والمراقب المالي البريطاني وسط حرسه الخاص، وأعلن أحمد عرابي مطالب الجيش والشعب المصري للخديوي توفيق، وهي:
  - عزل وزارة رياض باشا.
  - انشاء مجلس نواب على النسق الأوروبي.
  - زيادة عدد الجيش إلى 18 ألف جندي "طبقاً للفرمان السلطاني".
- فرد الخديوي "كل هذه الطلبات لا حق لكم فيها، وأنا ورثت ملك هذه البلاد عن آبائي وأجدادي، وما أنتم إلا عبيد إحساناتنا". فرد عليه عرابي قائلاً "لقد خلقنا الله أحرارا ولم يخلقنا تراثا أو عقار فوالله الذي لا إله إلا هو لن نورث ولن نستعبد بعد اليوم".<sup>(7)</sup>

<sup>(7)</sup> - موقع ويكي بيديا، <https://ar.wikipedia.org> ، وكذلك عبد الرحمن الراجعي، الثورة العرابية والاحتلال الإنجليزي، دار المعارف، القاهرة، مصر، الطبعة الرابعة، 1983. ص 96.



احمد عرابي امام قصر عابدين في 9 سبتمبر 1881 وحوله جماهير الشعب  
ينتظرون لقاء الخديوي توفيق لعرض مطالبهم.

كان الهدف من الثورة العرابية هو انشاء رابطة قوية بين المصري ووطنه، ثم تطورت الفكرة إلى رجال الثقافات الأوروبية، وبدأت مهاجمة أصحاب الرابطة الدينية. وقبل هذا، كان هناك نشاطا فكريا غير واضح المعالم كلية، ونقصد بذلك مجهودات رفاة رافع الطهطاوي، " ذلك الانسان الفريد الذي كان يمكن أن يعد بحق أول شيخ متنور في الأزمنة الحديثة في الوطن العربي"<sup>(8)</sup>، فكتابه "تخليص الإبريز في تلخيص باريز" تلخيصا مهما للفكر التحرري الغربي آنذاك.

<sup>(8)</sup> - سلمى الخضراء الجيوسي، تر: عبد الواحد لؤلؤة، الاتجاهات والحركات في الشعر العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 2007. ص 35.



### - تطور الشعر العربي في القرن التاسع عشر:

كان يتصف الشعر في هذه المرحلة بالصنعية والتقليد والزيف، كونه كان لا يعنى بغير التسلية والمجاملات. حتى " الرثاء الذي كان موضوعاً دائماً الحضور في الشعر العربي، غدا هيكلاً شكلياً مليئاً بالعبارات المكررة، [أيضاً] كان الشعر عامة معنياً بالمحسنات البلاغية من بديع وجناس وطباق"<sup>(9)</sup>.

نفس الوضعية عاشها الشعر في مصر، يصف ذلك العقاد " كيف أن الشعراء، باستثناء البارودي، كانوا على اتصال بقصور الكبار والأغنياء"<sup>(10)</sup>. فكان محمود صفوت الساعاتي (1825 - 1880) مثلاً وهو الحافظ لشعر المتنبي، " كان مدّاحاً يكتب المديح على طريقة المتنبي نفسه، (...) ولما كان متمثلاً مزاي الشعر القديم فإن شعره لم يكن يشكو من منازع الضعف في الأسلوب التي كانت سائدة في شعر الكثيرين من حوله، (...) فاتبع المؤلف في استعمال التأريخ والأحاجي الشعرية والدعابة الحكيمة وغير ذلك من المحسنات اللفظية"<sup>(11)</sup>.

أما البارودي فكان شعره يتميز بالبساطة وقوة التعبير، ويربط العقاد بين شعرية البارودي وشعور الحرية الوطنية الذي أحسه المصريون فترة حكم الخدوي إسماعيل، والذي اعقبته ثورة عرابي، والتي ساهم فيها بشكل كبير. " والواقع أن تجنّب التقاليد الشعرية في عصره كان موقفاً واعياً، يقوم على فهم واضح لدور الشعر وأهميته كما يراها:

الشعر زين المرء ما لم يكن \*\*\* وسيلة للمدح والذام"<sup>(12)</sup>

كذلك الشاعر إسماعيل صبري ( 1854 - 1924)، الذي ربط اسمه باسم البارودي، فهو أول شاعر يظهر في شعره أثر الدراسات الغربية، وقد " يكون شعره أول مثال في مصر يعكس عقلية حديثة ذات إحساس مرهف بالتباين المتصارعين: تيار الإحياء للقديم وتيار الفكر التقدمي

<sup>(9)</sup>- المرجع نفسه، ص 46.

<sup>(10)</sup>- سلمى الخضراء الجيوسي، (مر. س)، ص 57.

<sup>(11)</sup>- المرجع نفسه، ص 58.

<sup>(12)</sup>- نفسه ص 60.

الحديث. (..) غير أنه من المهم أن نشير هنا إلى أن صبري إسماعيل يختلف عن البارودي في كونه لا يحمل ميسم أدب العصور الوسطى، فشعره يتميز بالرقّة والموسيقية والضبابية غالباً<sup>(13)</sup>.

وقد جاء في شعره عن لواء الحسن:

إن هذا الحسن كالماء الذي \*\*\* فيه للنفس ريٌّ وشفاء

أما عن المرأة فيقول:

أنت روحانية لا تدعي \*\*\* أن هذا الحسن من طين وماء

وانزعي عن جسمك الثوب يين \*\*\* للملا تكوين سكان السماء

وأري الدنيا جناحي ملك \*\*\* خلف تمثال مصوغ من ضياء

ومن أبرز من دافع على فكرة الجامعة المصرية نجد كذلك الشاعر صالح مجدي (1825 –

1881)، الذي كانت كلماته الشعرية يتردد فيها الوطن والوطنية محاولاً أن يغرس حبه في القلوب،

في ذلك قوله:

فَهُوَ لِلْأَوْطَانِ حَصْنٌ \*\*\* بامتداح الصدر عُنُوْا

وَلَكُمْ فِي الْخَوْفِ أَمْنٌ \*\*\* وَهُوَ لِلإِيمَانِ رُكْنٌ

في ميادين الوَقَائِعِ

يا بَنِي الأَوْطَانِ سَوِّدُوا \*\*\* في الوَعْيِ أَنْتُمْ أُسُودُ

وَادْخُلُوا الأَحْيَا وَصِيدُوا \*\*\* وَلَهَا بِالرُّوحِ جُودُوا

صَيْدَهَا يَوْمَ الزَّعَاذِرِ

في مَسَاهَا وَالصَّبَاحِ \*\*\* وَاسْتَعِدُوا لِلْكَفَاحِ

في ميادين النَجَاحِ \*\*\* وَاطْلُقُوا خَيْلَ القَلَّاحِ

وَادْفَعُوهَا فِي المَعَامِعِ

الفريق الآخر الذي دافع عن فكرة الجامعة هو الحزب الوطني برئاسة مصطفى كامل، وهو

المتأثر بالتفكير الأوروبي والدعوات القومية، حيث يقول:

<sup>(13)</sup> - سلمى الخضراء الجيوسي، (مر. س)، ص 63.

- لو لم أكن مصرياً لوددت أن أكون مصرياً.
- أحراراً في أوطاننا، كرماءً مع ضيوفنا.
- الأمل هو دليل الحياة والطريق إلى الحرية.
- لا يأس مع الحياة ولا معنى للحياة مع اليأس.
- إني أعتقد أن التعليم بلا تربية عديم الفائدة.
- إن الأمة التي لا تأكل مما تزرع وتلبس مما لا تصنع أمة محكوم عليها بالتبعية والفناء.
- إن من يتهاون في حق من حقوق دينه وأمته ولو مرة واحدة يعيش أبد الدهر مزعزع العقيدة سقيم الوجدان.
- إن مصر للمصريين أجمع وعلى حامل اللواء أن يجتهد حتى ينصهر داخل العمل الوطني فلا تستطيع أن تقول إلا أنه جزء من الشعلة.
- كذلك يقول " إن الوطنية هي أشرف الروابط للأفراد، والأساس المتين الذي تُبنى عليه الدول القوية والممالك الشامخة. وكل مانرونه في أوروبا من آثار العمران والمدنية، ما هو إلا ثمار الوطنية. أصبح اليوم الوطن المصري ينتظر منكم ومن بقية أبنائه عدلاً وإنصافاً"<sup>(14)</sup>.
- يدعو الحزب الوطني إلى حكم مصر الذاتي تحت السيادة العثمانية بموجب فرمان السلطاني الصادر في عام 1841 وما بعده من فرمانات ودعم العلاقات بين مصر والامبراطورية العثمانية، وتقوية الروابط بين المسلمين، بينما يدعو حزب الأمة بزعامة لطفي السيد إلى مصر أولاً ومصر أخيراً ولا ولاء للدولة العثمانية أو لبريطانيا، الاصلاح هو المقدمة للتحرير.

<sup>(14)</sup> - محمد محمد حسين، (مص. س)، 65.

### المبحث الثالث: محنة الجامعة المصرية:

تعود أسباب محنة الجامعة المصرية إلى الصراع الذي كان قائما بين الأقباط والمسلمين، ففي عام 1910 بالتحديد في 6 آذار/مارس أقيم المؤتمر القبطي، وهذا بعد اغتيال رئيس الوزراء بطرس غالي، وقد دعا إلى هذا المؤتمر أخنوخ فانوس ( 1856 - 1918)، وتم في أسيوط برعاية المطران (البطريك فيما بعد) ماكاربوس، وتحت رئاسة "بشرى حنا بك" وسعى الاحتلال الإنجليزي للنفخ في هذه القضية.

رفع الأقباط في هذا المؤتمر خمسة مطالب كانت تتعلق بالمشاكل التي يواجهونها، تلخص فيما يلي:

- 1- منح يوم الأحد كإجازة رسمية للموظفين الحكوميين والطلبة.
  - 2- أن تكون التعيينات والترقيات في الوظائف الحكومية طبقا للكفاءة وليس للدين.
  - 3- اعتماد نظام انتخابي يضمن تمثيل الأقليات (تم اقتراح النظام البلجيكي).
  - 4- مساواة المدارس القبطية والإسلامية في المصروفات التعليمية الحكومية.
  - 5- مساواة المنظمات القبطية الخيرية مع الإسلامية في الدعم الحكومي.
- وفي اعقاب هذا، وبعد أن قوبل المؤتمر بالرفض التام من قبل الأغلبية، وتعرض لهجوم حاد وقت انعقاده، عقد مؤتمر إسلامي في 29 نيسان/إبريل من نفس السنة، والذي عدل فيما بعد إلى المؤتمر المصري للرد على المطالب القبطية، برئاسة رياض باشا، إلا أن قيام ثورة 1919 والتفاف المصريين جميعا حول زعمائها مسلمين ومسيحين قد وأد الفتنة في مهدها.
- اتهم المسلمون الأقباط بموالاتهم للحكم الإنجليزي، وذلك لما يجمعهم من رابطة المسيحية، كما كانوا يعتقدون في أنفسهم أنهم هم الأسياد والأقباط هم العبيد.

وقد نجم عن المؤتمر الإسلامي بعض النقاط:

- 1- ينظر المؤتمرون إلى التوفيق بين عناصر الشعب المصري.
- 2- أن الأكثرية والأقلية تقوم على المبادئ السياسية وليست الدينية.
- 3- أن الاستعانة بالإنجليز خطر على ودة مصر.

وقد كان لهذه المحنة أثرها الإيجابي، حيث كانت فرصة لتصفية حقد أبناء الوطن الواحد، فأسرعوا إلى انشاء الجامعة القومية، بعد أن نهض " عقلاء الطائفتين لتخفيف حدته وإقامة الأدلة على أنه لا يقوم إلى على أساس من الوهم وسوء الظن، (...) ولا يستفيد منه إلا المحتل الدخيل الذي يمتص دماء الفريقين كليهما دون تمييز بين مسلم أو قبطي" (15).

وقد عبر مرقص فهمي (1870 - 1955) في اجتماع الأقباط بحديقة الأزبكية، ينفي عن المسلمين تعصبهم العرقي، "مؤكدًا أن الجريمة التي راح ضحيتها بطرس غالي عمل يأسف له كل مصري مسلما كان أو قبطيا" (16). وجاء في قصيدة علي الغاياتي حول خطبة السلام لمرقص فهمي:

خطبت فلم تجنح إلى شرعة الهوى \*\*\* ولم تتخذ نهج الخلاف سييلا  
وأنصفت قوما أنت منهم، وإن عدا \*\*\* عليهم جهل أو أعان جهولا  
ويخم قصيدته

فسر في سبيل الصدق يا خير قائلٍ \*\*\* أقام على صدق الولاء دليلا  
لقد شهدت الفترة ما بين 1908 - 1911 قمة الخلاف وأقصى أنواع الشقاق بين الجانبين (الجانب القبطي والمسلمين)، غير أن طارق البشري يصنفه في خانة الدليل القاطع " على الوحدة الوطنية والامتزاج بين أبناء الوطن الواحد، وقد استعملت فيه جميع المثيرات الممكنة ودفعته إلى تصاعده كافة القوى المعادية للحركة الوطنية الديمقراطية في مصر، وكانت وقتها في عنفوانها، سواء كانت قوى مادية وسياسية كالوجود الاستعماري والحكم الاستبدادي، أم كانت ملابسات تتعلق بتعقيدات سياسية كرواسب فكرة الخلافة والجامعة الإسلامية وما يشيع لدى كثيرين من تشابك بين المفاهيم الدينية والمفاهيم السياسية. بالإضافة إلى أنه لم يكن دعاة الشقاق من القبط يمثلون أغلبية فيهم، وكذلك كان الشأن بالنسبة لذات الدعاة من المسلمين، وغلبت كفة العقلاء من الفريقين، وكان ضغط الرأي العام المصري على كلا الجانبين يفرغ ما يراد اصطناعه من أزمات

(15) - محمد محمد حسين، (مص. س)، ص 119.

(16) - المصدر نفسه، ص 120.

بينهم، وكان مجرد احتمال قيام شقاق طائفي في مصر يستفز في الطرفين دوافع العمل على تصفيته<sup>(17)</sup>.

### الحملة الصحفية الطائفية وتأجيج نار الفتنة

في خضم الصراع القائم بين الأقباط والمسلمين ولما اشتد ساعد الحركة الوطنية المعادية للاحتلال البريطاني، عملت الصحف الوطنية آنذاك على تأجيج الخلاف وكان على راس هذه الصحف، صحيفتين قبليتين - كانتا مواليتين للإنجليز - هما صحيفتا مصر والوطن، بالإضافة إلى صحيفة المؤيد التي كان يصدرها الشيخ على يوسف وبعض كتاب صحيفة اللواء من جهة أخرى. فكانت صحيفة مصر - التي صدرت سنة 1895 وقبلها صحيفة الوطن سنة 1877 - لسان حال التيار القبلي المتعصب، ففي 22 مايو 1908 تنشر مقالات تهاجم فيها المسلمين هجوماً عنيفاً، وأسهمت صحيفة الوطن في هذا الجدل العنيف.

---

<sup>(17)</sup> - طارق البشرى وآخرون، المواطنة والتحول الديمقراطي في مصر - استطلاع رأى عينة من النخبة، القاهرة، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، 2009. ص 58، 61. وكذلك محمد محمد حسين، (مص. س)، ص 119.

## المبحث الرابع: التيارات السياسية:

### الثورة العربية ودورها في تبلور الوعي السياسي

يتحدث محمد حسين في فصله الرابع المعنون بالتيارات السياسية، عن بداية تبلور وظهور أو ميلاد الوعي السياسي كنتيجة من نتائج الثورة العربية. فقد حملت هذه الثورة ثقة المصريين بأنفسهم وبوطنهم والتضحية من أجله، والتصدي للاحتلال الإنجليزي، حيث بدأت هذه الثورة الأدبية من أواخر عهد إسماعيل لتمتد إلى أوائل عهد توفيق، إذ كان للجرائد والمجلات والصحف دورا في إبراز مظاهرها وأساليبها وطرقها ونتائجها، أما عن المساهمين فيها نذكر على رأسهم جمال الدين الأفغاني إضافة إلى تلميذه محمد عبد الذي كتب مقالين سنة 1881 إلى قضايا الدولة وإيقاظ الشعراء ودفعهم لإخراج مكوناتهم اتجاه هذا النظام الفاسد دون تدخل طرف أجنبي في ذلك<sup>(18)</sup>.

لقد كانت لهذه الثورة في الساحة المصرية خاصة والعربية عامة صدى كبيرا جعلها متناولة في العديد من الدراسات الحديثة والمعاصرة منها، فهناك من أدرجها تحت اسم الثورة العربية في الميزان، إذ رأى أنها العلامات المضيئة في تاريخ الشعب المصري وقد تعرضت لتسميات عدة منها : فتنة عسكرية، موجة عرابي، انتفاضة شعبية تلاحم فيها جيش مصر وباقي طوائف الشعب، فرغم تدخل أيادي الخيانة والتدخل الأجنبي لكان نجاحها مؤكدا، زيادة على هذا فقد حملت في طياتها العديد من الانتقادات من قبل المؤرخين المعاصرين المحدثين رغم أصالتها ووطنيتها حين رأوا أنها قادة الاحتلال لكنهم تناسوا بذلك الاحتلال التركي وسياسة الخديوي توفيق ووزيره رياض باشا على الشعب المصري<sup>(19)</sup>.

<sup>(18)</sup> - محمد محمد حسين، (مص. س)، ص 134.

<sup>(19)</sup> - تلي بالقيس، ثورة أحمد عرابي في مصر 1881، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ المعاصر، إشراف علي زيان، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم العلوم الإنسانية، شعبة تاريخ، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر 2015/2016. ص 93، 96.

إن لكل واحد رأيه الخاص ونظرتة الخاصة وذلك راجع إلى الخلفيات السياسية والدينية والاجتماعية التي تحيط بالكاتب والدراسة التي تتطلب منه تناول موضوع دون آخر فقد كان لهذه الثورة إيجابيات كما كان لها سلبيات.

### حركة الجامعة الإسلامية:

تجلى المد الاستعماري الانجليزي على مصر في شكل حملة جاءت بعدتها الحربية والفكرية والعلمية، وهذا ما أدى بدوره وبصورة مباشرة إلى ظهور العديد من التيارات الفكرية والنزاعات السياسية التي ساهمت في تبلور الوعي السياسي بين المصريين، ولعللى خير مثال على ذلك حركة "الجامعة الإسلامية" التي رأت في العودة إلى الإسلام والوحدة الإسلامية والتراث العربي السبيل الوحيد لإعادة نهضتها والوقوف في وجه هذا المستعمر، وانطوى تحت لوائها العديد من المصريين، إضافة إلى الدولة العثمانية (1877. 1878)<sup>(20)</sup>.

إذا كان هدف هذه السياسة هو العودة إلى التمسك بالإسلام، وهذا ما عبر عنه السلطان عبد الحميد الثاني بقوله " إن القوة الوحيدة التي ستجعلنا واقفين على أقدامنا في الإسلام...إننا أمة قوية بشرط أن نكون مخلصين لهذا الدين العظيم"<sup>(21)</sup>.

ثم جاءت الجامعة الإسلامية كرد فعل على فشل حركة الإصلاحات التي سبق وبنتها الدولة العثمانية والبدائية كانت أن استهل السلطان العثماني عبد الحميد بتقديم دعوات للمسلمين ليرابط فيما بينهم وتوحيد صفوفهم والعمل بأحكام القرآن الكريم وذلك في قوله " أأمل أن يتحد العثمانيون ولو في آخر لحظة، والعمل على بقاء دولتهم والسير على هدى دستورهم المقدس القرآن الكريم، مؤمنين به ممثلين لأوامره، وإلا فالمصير لأسوء ينتظرنا حيث تتأهب الدولة النصرانية لتمزيق أشلاءها وتقاسم ممالك العثمانية فيما بينهم"<sup>(22)</sup>.

<sup>(20)</sup> - ينظر. نصير خير الله، محمد التكريني، (مر. س)، ص 113.

<sup>(21)</sup> - المرجع نفسه، ص 113.

<sup>(22)</sup> - نفسه، ص 114.



### أهمية الجامعة الإسلامية:

- استخدام السياسة الجامعية الإسلامية من طرف عبد الحميد الثاني في التصدي بالثورات والانتفاضات في شبه جزيرة البلقان.
  - دورها في خلق وحدة كفيلة بالتعايش السلمي بين الدول العربية التابعة لقوميات الدولة العثمانية.
  - دورها في التصدي للهجمات الأجنبية على العالم الإسلامي.
  - دورها في لم شمل المسلمين وجعل الدولة العثمانية في موقف القوة والدفاع<sup>(23)</sup>.
- دور مصر في حركة الجامعة الإسلامية:**

من أهم ما نتج عن الاحتلال البريطاني لمصر ميلاد مجموعة من الشركاء المثقفين الذين كان لهم دور في الحركة الوطنية ضد هذا الاحتلال، الداعية إلى تمسكهم بفكرة الجامعة الإسلامية المستجيبة لما يتبع شعور غالبية المصريين وإثبات عدم أحقية وشرعية الاحتلال عليهم ولعل من أبرز دعاة الجامعة الإسلامية في مصر من بينهم محمد عبده<sup>(24)</sup>.

### محمد عبده والثورة العربية:

نستشف من هذا، أن للثورة العربية دور فعال في بداية تبلور الوعي السياسي المصري فقد أعادت لهم هذه الثورة ثقتهم بأنفسهم، من جديد وزرعت بينهم بذور القوة والشجاعة والصمود للتصدي والوقوف أمام الاحتلال الإنجليزي فقد بدأت هذه الثورة الأدبية منذ أواخر عصر إسماعيل لتمتد إلى أوائل عصر توفيق، ليساهم فيها العديد من الزعماء أمثال جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده والبارودي أيضا، وفي هذا الصدد كتب محمد عبده مقالين سنة 1881 نشرت في مجلة العروة الوثقى لهذا كانت حاضرة في مقدمة أفكار التيارات السياسية، التي أدرجها محمد محمد حسين في كتابه<sup>(25)</sup>.

<sup>(23)</sup> - ينظر - نصير خير الله محمد (مر. س)، ص ص 114، 115.

<sup>(24)</sup> - المرجع نفسه ، ص 115.

<sup>(25)</sup> - محمد محمد حسين، (مص، س)، ص ص 134، 140.

لنجدها أيضا فرضت نفسها وذكرت مع ذكر مجهودات محمد عبده الذي كان أحد الرموز المحركة لها، وفي البداية كان موقفه منها مناصر محذر ورغم ذلك فإنه لم يقف غضبه وموقفه من السياسة وأفعال الخديوي توفيق، وخاصة عندما ذهب إلى البريطانيين وهذا ما دفع بهم إلى الكتابة ودعوة الشعب إلى مساندة الحركة العراقية وتقديمهم المساعدة للجيش والجمود والوقوف في وجع هذا النظام الفاسد والجائر، ولعل أهم الأسباب التي جعلته ينظم إلى هذه الحركة هي بين الحس الوطني وفكرة الجامعة الإسلامية ولعل هذا الرأي الذي قدمه نصيف خير الله محمد التكريتي هو دليل على ذلك<sup>(26)</sup>.

لقد كان المؤلفين في طرحهما لقضية الثورة العراقية ودورها في ولادة وعي سياسي مصري جديد قادها وساهم فيها العديد من الزعماء وذلك من خلال ما حصلته في طياتها من مبادئ وأفكار وأسباب أيقظت عقول النائمين عن ذلك النظام الذي مارسه الخديوي توفيق عليهم.

**دور مصطفى كامل في الجامعة الإسلامية:**

يعتبر مصطفى كامل من أهم الأعلام التي ساهمت في ميلاد وتبلور وظهور حركة جديدة أيقظت العديد من المصريين خاصة والمسلمين عامة في جميع أنحاء الدول العربية التي كانت تعاني من ويلات الاستعمار.

لقد كان لمحمد محمد حسين دورا في إبراز أهم القضايا والمقالات التي قالها مصطفى كامل في خطته المساندة لمبادئ وأهداف الجامعة الإسلامية التي اعتبرت من أهم الحركات الوطنية والتيارات السياسية إذ يقول في هذا الصدد "وإذا كان صالح مصر يقضي كما قلت بوجوب وجود خطباء من أبنائها يطوفون العواصم..."<sup>(27)</sup>

وقد تطرق إليه في مقابل ذلك مؤلف آخر وهو نصير خير الله محمد التكريتي إذ بين هنا دور مصطفى كامل بدعوة سياسية للجمعية الإسلامية ومساندتها من خلال العلاقات المصريين بالعثمانيين وأشار إلى ذلك في قوله "نحن نودوا أن تكون محالفة للدول العثمانية تنصرها وتنصرنا

<sup>(26)</sup> - نصير خير الله محمد التكريتي، (مر. س)، ص 116.

<sup>(27)</sup> - محمد محمد حسين، (مص، س)، ص 204.

ونعزز بها، وأصر على أهمية الترابط الديني بين المسلمين، وساند دور السلطان عبد الحميد الثاني وجهوده في العمل بسياسة الجامعة الإسلامية<sup>(28)</sup>.

وفي المقابل كان هدفه من علاقته مع السلطان العثماني التخلص من الاحتلال البريطاني، وقد كانت صحيفة اللواء التي أسسها مصطفى كامل سنة 1900، إحدى الصحف المؤيدة للجامعة الإسلامية التي نشر فيها مقالاته، ومن بينها المقالة التي بين فيها دفاعه عن الجامعة الإسلامية التي ساء الأوروبيين فهم أهدافها إذ يقول " لقد فسرت كلمة الجامعة الإسلامية في أوروبا تفسيراً لا يتفق ومعناها الحقيقي... إن حركة الجامعة الإسلامية بالمعنى المقصود منها في أوروبا أي الحرب الدينية لا وجود لها بالمرّة، أما الشعور بوجود وبلا نزاع عند كافة الشعوب الإسلامية فهو شعور عاطفتها وحنانها لبعضها البعض فكل مسلم يرغب من صميم فؤاده أن يرى أبناء دينه يعاملون أحسن من المعاملة الحالية ويعتبرون كجزء من الإنسانية، ومحترمين في كل مكان ومن كل إنسان... وإن ميل كل مسلم لأبناء دينه أمر طبيعي وشرعي ولا يوجد رجل منصف ينتقد ذلك الميل"<sup>(29)</sup>.

يتضح لنا من خلال الدراستين أن الباحثين كانا موفقين إلى حد كبير في طرح هذه القضية المتعلقة بدور الجامعة الإسلامية وزعمائها التي ساهمت في التخلص من الاستعمار ولم تشمل المسلمين.

#### - دور محمد فريد في حركة الجامعة الإسلامية:

يعد كتاب محمد محمد حسين المتناول لأهم الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر الذي تناول فيه ترأس محمد فريد زعامة الحزب الوطني خلفاً لمصطفى كامل الذي كان له علاقة وطيدة بالدولة العثمانية وعداوة اتجاه الاحتلال مع رفيقه عباس<sup>(30)</sup>.

أما مقابل ذلك فقد تناول محمد تكريتي الذي بين فيه توليد الحزب الوطني عام 1908 وأكمل من النقطة التي توقف فيها مصطفى كامل في علاقته مع الدولة العثمانية للتخلص من الاحتلال

<sup>(28)</sup> - نصير خير الله محمد التكريتي، (مر، س)، ص 116.

<sup>(29)</sup> - المرجع نفسه، ص 117.

<sup>(30)</sup> - محمد محمد حسين، (مص، س)، ص 167.

الانجليزي وفقد وصف الأستاذ عبد الرحمان الرفاعي للإقبال الجماعي على هذا المشروع فيقول " فأقبلت جماهير الأمة على هذا المشروع عن طيب خاطر إقبالا جماعيا وانحالت عرائض الدستور على الحزب واللواء من العاصمة والثغور والبناء والأقاليم والقرى القريبة والبعيدة... "(31).

يتجلى من خلال ملاحظتنا لكلا الدراستين الأنفتين المتعلقةتين بطرح دور وسياسة محمد فريدك الذي خلف مصطفى كامل في إمداد علاقته بالعثمانيين لمواجهة هذا الاحتلال ولذلك فإن الرأيين موفقين إلى حد كبير في رأيهما.

المعارضون لحركة الجامعة الإسلامية في مصر:

### 1/ دور صحيفة المؤيد لدى المعارضون على الجامعة الإسلامية:

لقد كانت الصحافة بأنواعها المكتوبة والمسموعة المساند الأول والشاهد الحق في التكلم عما تعانیه الدول الواقعة تحت سيطرة الاستعمار وذلك بمقالاتها الثرية والشعرية، وخير مثال على ذلك صحيفة المؤيد التي ارتفعت باسم الوطن والوطنية بعد الاحتلال البريطاني على مصر التي ظهر العدد الأول منها في أول ديسمبر 1889م وقد جاء في فاتحته وما لنا أن لا نقوم بشعائر تطالبنا بها الإحساسات الطبيعية والحاجات الوطنية ونواحي الحياة الدينية والأدبية... فقد كان هدف صحيفة المؤيد هو دعوة المصريين إلى التمسك بنجدهم ودينهم وبيتهم من خطر الاستعمار وهذا ما تطرق إليه محمد محمد حسين في كتابه(32).

وفي مقابل ذلك تطرق محمد لتكريني إلى طرح دور صحيفة المؤيد في نقل مساندة الحزب الوطني لحركة الجامعة الإسلامية، ففي البداية كان هذا الحزب مؤيد لهذه الحركة إلا أنه فيما بعد رفض قيام هذه الفكرة سياسيا وأيدها دينيا وفي هذا الصدد يقول علي يوسف " أن الجامعة الإسلامية قسما دينية وسياسية موجودة بوجود العقيدة والسياسة غير موجودة ولم توجد لعدم وجود الرابطة بين الأمم الإسلامية وفي المصلحة(33).

(31) - نصير خير الله التكريني، (مر. س)، ص 118، 119.

(32) - محمد محمد حسين، (مص. س)، ص 143، 144.

(33) - نصير خير الله التكريني، (مر. س)، ص 119.

إن لصحيفة المؤيد دور بارزاً وفعال في نقل ما تعانیه مصر بعد الاحتلال وحملت مقالاتها العديد من الأفكار تنبههم وتعيد إليهم عزيمتهم كما لا ننسى دورها في نقل أفكار الأحزاب الوطنية والتيارات السياسية، وهذا ما تطرق إليه الباحثين، فكل منهما تناول دور هذه الصحيفة من جهة وإن اختلفا فإن الغاية واحدة.

### مدرسة جمال الدين الأفغاني:

يعتبر جمال الدين الأفغاني بمثابة الأب الذي تولدت من رحمه الآراء والأفكار التي تبنت قلوب المصريين وخاصة التلاميذ الذين أخذوا منه أهم الأفكار والمبادئ التي تبني موقفه وهدفه وهذا ما تجلّى في قوله الذي أدرجه محمد محمد حسين " إنكم معاشر المصريين قد نشأت في الاستعباد وريتم بحجر الاستبداد وتوالت عليكم قرون منذ زمن الملوك الرعاة حتى اليوم وأنتم تحملون عبئ نير الفاتحي وتعنون وطأة الغزاة الظالمين... وعزة أجدادهم"<sup>(34)</sup>.

وقد أولى فيه التمعن وأعطاه عمر الدسوقي رؤية أخرى عن مدرسة جمال الدين الأفغاني الذي كان ميلادا للصحافة عند مجيئه، حيث كانت تحمل في قيود الأجنبي التي لم تتركها بخير عما في الوطن العربي وفي مصر خاصة، هذا إن دل على شيء فإنما يدل على مدى القمع لحرية التعبير وهذا ما أدى بالعربي إلى العربية في وطنه وهذا كله رهنا من الحكام هذا ما أكده محمد عبده في قوله "ولو حدث إنسان فكره السليح بأن هناك وجهة خير غير التي يوجهها إليه الحاكم لما أمكنه ذلك، فإن بجانب كل لفظ خفيا عن الوطن أو ازهاق للروح أو تجديدا من المال" وقد كان الأدب خدمة لهذا الصدد، فجمال الدين ها هنا قد وجد من مصر

وقد عرف بميله الديني وإصلاحه الاجتماعي إلا أنه خاض التساؤلات السياسية هنا وهناك ووجد نفسه يغوص بين كل المتاهات ليخرج مصر من الفجوات فقد ركز في ذلك على أمرين أولهما: الموضوعات التي طرحها الكتاب والذي استكادت بين الصحافة هيبتها وخدمت الداخل بدل الخارج وإضافة إلى أن جمال الدين الأفغاني كان يأخذ بالمبدأ الشوري حتى لا تكون السلطة للحاكم والغلبة للمحكوم عليه واتخذ من النثر الحديث لدى الاستعمار البريطاني، علاوة على ذلك

<sup>(34)</sup> - محمد محمد حسين، (مص. س)، ص 135.

فقد اتخذت طائفة من المستنيرين من منهج هذا العلامة منهجا لها وثاني مظاهر التطور الذي جاء به جمال الدين الأفغاني هو تكويني جيل من الكتاب يعرف أين يضع الكلمات بإبداع دون أي زخرفا مجيدا بالمعنى وغير مفيدا في المبنى وهذا لكل أفاد النثر فائدة حرره من القيود المفروضة عليه<sup>(35)</sup>.

إن المتتبع لما سبق الذكر فيه بأن جمال الدين الأفغاني قد أجمعت عليه آراء الباحثين على أنه منقذ البلد المصري من سيطرة الاستعمار ونفوذ ذلك الجبار كما أنه أنقذ نفوس أهل مصر من سباتهم إزاء خوفهم من لدغة الأفعى.

إضافة إلى هذا فإن جل رسائله في مطلع حياته قبل تخرجه للصحافة كان يخوض فيها موضوعات تمس حياة المجتمع، ولا شك أن هذا اللون من الأدب الذي اعتمده هو أدب طبع الغاية من إظهار المقدرة اللغوية والأدبية دون تدخل أي دوافع عاطفية، ولهذا فإن الموضوعات أو المقالات التي تناولها عبد الله النديم قبل الخوض في مجال الصحافة في مواضيع تعالج أدوات المجتمع وما فيه ونشرها في مجلة الشيك وفي الحق إن النديم في هذه المجلة قد اصطنع أسلوب جديد دل على مرونة قلمه ودقة فهمه فلكل مقام مقال ومن هذه المقالات مقابل بعنوان مجلس طبي لمصاب بالفرنجي وهكذا سار النديم في صحيفته يخاطب كل قوم باللسان الذي يفصمونه ثم شيت الثورة العربية وجذب الثوار إليهم طائعا أو مختارا<sup>(36)</sup>.

بعد طرح الدراساتين السابقتين نستنتج من خلالها أن عبد الله نديم كان قاما من القامات التي ساهمت بشكل كبير في الكفاح ضد المستعمر سواء بمقالاته التي أدرجها محمد محمد حسين، وبتأثره وإكماله لما جاء وصار عليه أستاذه جمال الدين الأفغاني.

<sup>(35)</sup> - عمر الدسوقي، نشأة النثر الحديث وتطوره، دار الفكر العربي، القاهرة، مطبعة البردة، 2007. 2008. ص ص 57، 61.

<sup>(36)</sup> - المرجع نفسه، ص ص 86، 89.

### دور محمد عبده في الثورة العراقية:

إن محمد عبده قام من قامات زعماء الثورة العراقية وهذا ما طرحه محمد محمد حسين في كتابه، فقد كان محمد عبده يشغل منصبا في الصحافة الأمر الذي ساعد على تمثيل مقالاته ومؤلفاته وآراءه الداعية والمشجعة للشعب المصري ودعوتهم لمعالجة هذا النظام وهذا الاحتلال<sup>(37)</sup>. ولعل هناك رأي مشابه في طرحه لدور محمد عبده في هذه الثورة فقد اعتبرت من أهم الأحداث التي عرفتتها الأمة المصرية أو بالأحرى العالم العربي ككل، فقد عبر محمد عبده عن هذه القضية وانظم إليها بعد تأزم الوضع وانخراط العديد من الزعماء إليها وذلك لأن الأمر لا يتعلق به لوحده أو بهم لوحدهم بل يتعلق بكرامة الأمة وتدخل الأجانب في ذلك والاستعانة بتوفيق بهم في الحكم وخير دليل على ذلك ما نشره في "جريدة الوقائع" إذ يقول "إن مصر أصبحت صالحة نفسها بنفسها وأن الثورة قد علمت الناس الاتجاه نحو المنافع العامة، قلم يعود وبحاجة إلى تربية أو تعليم"<sup>(38)</sup>.

وما يهمنا من كل هذا أن الآراء التي قالها وكتبها محمد عبده كان لها دور في شرح قضايا هامة كانت تحتاج إلى من يجربها ويبين مدى أهميتها، لقد كان الكاتبين موافقين إلى حد كبير في طرحها الموقف محمد عبده من الثورة العراقية وإبراز الدور الفعال الذي لعبه فيها.

### عبد الله نديم وأدب المقالة:

لقد كان لفن المقالة التي تعتبر نوعا من أنواع النثرية حضورا قد بدا واسعا في التعبير جرائم الاستعمار في العديد من المجالات الاقتصادية، الاجتماعية وحتى الدينية والأخلاقية منها، ولعل المقالات التي تناولها عبد الله نديم وكانت مدرجة أو متناولة بين ثنايا موضوعات محمد محمد حسين دليل على ذلك ومن ذلك ما قال مقاله بد الله النديم عن أكثر الاستثمار الاقتصاد إذ يقول: "قالت أوروبا إنه هم متوحشون، لكونكم لا تحسبون صنع الأثاث و اللباس، وأنكم في حاجة إلى مصنوعاتنا ولا تصلون إليه إلا بعقد المعاهدات التجارية ... وبذا تمكنت من إدخال

<sup>(37)</sup> - محمد محمد حسين، (مص. س)، ص ص 134، 144.

<sup>(38)</sup> - عمر الدسوقي، (مر. س)، ص 65.

مصنوعها في الشرق لتحول الثروة إليها ... كأهمهم أمام أوروبا جيش خلق لخدمتها، لتقاعدهم عن مجارات أهلها" (39).

وله العديد من المقالات في إحضار الانجليز أخلاق المصريين وفقا لتقاليدهم، أو الجرائم التي يرتكبها باسم وأيدي المصريين الأبرياء إلا أن الدراسة لم تتوقف فينا فقد كان لعبد الله نديم حضور في ثنايا موضوعات عمر الدسوقي الذي ربطه بجمال الدين الأفغاني الذي تأثر به ومبادئه وأفكاره وسار منهجه في النضال، وزيادة على هذا لقد كان ذا بديهة وذكاء لماع، ومتمكن من اللغة، إذ يقول في وصف قاله قبل الثورة العراقية " هذا وقد كنت قبل ظهور هذه الحركة إلى الموجود، وترقي الحزب العسكري إلى مراقبي دعوة أصرف نفيس الوقت مفكرا فيما يجليه الحكام من المقت وأبتوا الكثير من الوقائع وأقيد اللطائف و الفظائع...." (40).

ويقول أيضا " وكان سيفي إلى تشجيع الخائفين للشيخ محمد جمال الدين فإن ألف حزبا من الشبان وجمع إليه بعضا من الأعيان، وبث فيهم روح العزة الوطنية ... " (41).

بمضي عبد الله نديم في مذكراته واصفا ومبين انفاقه مع تلاميذ جمال الدين في كتابه المقالات ونشرها في صحيفتهم، وذلك لأنه كان محترفا في الصحافة بسبب ولعه واعجابه بالأدب شعره ونثره، إلا أنه كان مقلدا ويحذوا ما جاء به العرب القدامى وخير مثال على ذلك نثره قبل "التنكيث وبالتنكيث" الذي جرى فيه نضج المقامة في السجع والمحسنات البديعية، وقد كان أيضا في نهاية كل سجع آية قرآنية تنسجم معها في موسيقيتها وفي حرصها كقوله من الرسالة الصديقة عبد العزيز حافظا فيقول " لا حول ولا قوة إلا بالله اشبه المراقب

بالإله واستبدل الحلو بالمر وقدم الرقيق على الحر وبيع الدر بالخزف والد بالخزف والخزف بالخشف، وأظهر كل لئيم كبره إن في ذلك لعبرة سمعا، قالوا شاه إن سمعوا لا يعقلوا ويحيون أن يعدوا لما لم يفعلوا فكيف تشرون منهم القارفي في صفة العنبر وقد بدت البغضاء من أنواهم وما

(39) - محمد محمد الحسين، (مص. س)، ص 148.

(40) - عمر الدسوقي، (مر. س)، ص 85.

(41) - المرجع نفسه، ص 85



تحفي صدورهم أكبر وكيف سمع الأحاب لمن نهي منهم وزجر، وقد جاءهم من لأبناء ما فيه مزدجر... "(42).

### مقال ليالي سطح لحافظ إبراهيم:

لقد كانت المقالة أو الصحف أو المجلات بصفة عامة هي المشعل الذي أثار ظلمتهم التي جاء بها مد الاستعمار الإنجليزي ولا نشئ زعماء وكتاب رؤساء هذه المقالات الذين أبدعوا بمواضيعهم، ولعل حافظ إبراهيم مد أحد هؤلاء المقامات الذي صور فيها فساد الصحف وعدم قيامها بالدور الذي سطرت فيه إذ قال في ليالي سطيح على لسان صاحبه "فتق لي الذهن أن ألقى بنفسي في غمار المحررين وأن أنشئ صحيفة أسبوعية، فصحت عزيمتي على الدخول في زمرة الكتاب وإن لم أكن منهم... وجعلت أكتب في الفضيلة للناس إلى الأخذ بها... "(43).

وهذا بالنسبة لما تناوله الدكتور محمد محمد الحسين في كتابه أما عمر الدسوقي فقد كانت له رؤية أخرى الذي تناول فيه المجلة مع صاحبها حافظ إبراهيم إذ تطرق لذكر الدوافع التي دفعت به إلى كتابه ليالي سطيح.

إن حافظ إبراهيم شخصية شغوفة بالشعر يتخير جيده ويحفظ منه الكثير وفي المقابل لم يكن مبال إلى الحرب يمثل ميله للشعر ونثره بمحمود سامي البارودي ورغم أنه كان يشغل منصب عسكري، إلا أنه كان يهتم دائما بأودية الشعر وهذا ما جعله مشهورا بين رفاقه في السودان، وهذا الشعر كان ناتجا عن بشاعة الاستعمار الإنجليزي الذي يعيشه الشعب المصري، الأمر الذي جعله يطلب من أستاذ محمد عبده لإعادته إلى مصر ومن تلك القصائد التي قالها:

رمينا بها على هذا النياب \*\*\* وما أوردتها غير السراب

وما حملتها إلا الشقاء \*\*\* تقاضيت به يوم الحساب

جنيت عليك يا نفسي وقلبي \*\*\* عليك حتى أبي فدعى كتابي (44).

(42) - عمر الدسوقي، (مر. س)، ص 86.

(43) - المرجع نفسه، ص 143.

(44) - نفسه، ص 143.

لينتهي به الأمر ويتهم مع رفقائه بالتآمر فأرسلوا إلى قلعة الجبل ليحاكموه، وبعد فترة عاد إلى مصر صفر اليمين ووجد أمامه واقع مؤلم مقلق، الأمر الذي جعله يبين لك في الأبيات التالية:  
سعت إلى أن كدت انتعل الدما \*\*\* وعدت وما أعقت إلا لتندما  
لحا الله عهد القاسطين الذي به \*\*\* تهدما من بنيانها ما تهدما  
إذا شئت أن تلقى السعادة بينهم \*\*\* فلا تك مصريا ولا تك مسلما<sup>(45)</sup>

وهكذا يستمر حافظ إبراهيم في هذه المقالات والأشعار التي تدل على ما آلت إليه بلده مصر وهكذا بدأ حافظ كتابه " ليالي سطيح " ولعلا المقالة التالية تدل على ما عاشه " أديب بئس وشاعر يئس داهمته الكوارث، ودهمته الحوادث، فلم يجد له عزما، ولم تصب منه حزما، خرج بروح عن نفسه ويخفف من نكسته وكشف له مكاني، وقد آن أواني، أي فلان. لقد أخرجت للناس كتاب ففتحو عليك من الحروب أبوابا، وخلا غابك من الأسد فتداءب.... ومتى سمعت من قبلنا التسبيح فقل لصاحبك الذي يليك هلم بنا إلى سطيح"<sup>(46)</sup>.

قد عرض فيه حافظ إبراهيم المشكلات السياسية والاجتماعية من عصره كمشكلة السوريين في مصر، ومن الموانع الاجتماعية التي تناولها أيضا قضية التعليم إذ يقول في لسان سطيح " أليس من العار أن تكونوا أكثر مالا أعز نفرا ولا تجدوا في مصر لتعليم أولادكم مستقرا وليست بيروت بأخصب من عروس النيل أرضا، ولا بأوسع من ملك مصر طولاً وعرضا"<sup>(47)</sup>.

وقد عاب أيضا على الصحافة والصحفيين ويعيب على الشرق تقليده للقرب وعدم فهمهم لكلمة الحرية وإضافة إلى المواقع السابقة فهناك مواضيع أخرى تناولها جمال الأفغاني ومحمد عبده والعامية والفصاحة ليختم كتابه بالحديث عن يأسه وشقائه وبعد التمعن في كلتي الباحثين تبينا لنا أن كلا الكاتبين تناولا دور حافظ إبراهيم في التعبير عما يعاينه الشعب المصري وكذا صفاته والعيش في القرية بعيدا عن وطنه.

<sup>(45)</sup> - عمر الدسوقي، (مر. س)، ص 143.

<sup>(46)</sup> - المرجع نفسه، ص 145.

<sup>(47)</sup> - نفسه، ص 149.

المبحث الخامس: نزعات إصلاحية.

مفهوم الإصلاح السياسي:

إن مفهوم الإصلاح السياسي كان من أهم القضايا التي شغلت فكر العديد من الأدباء وأسالت حيز العديد من الآراء النقدية التي كتبت بين طيات الكتب، فلم نجد من يروي ورفاتها بل كانت مجرد مروحة للقراء لما قال العقاد عن نقده، ولعل الدكتور محمد محمد حسين من أبرز الأقلام التي أشارت إلى هذا المفهوم بحيث ربط ذاكرة الإصلاح أو النزعات الإصلاحية كما أسماها بالجانب السياسي فكل حركة إصلاحية تحقق هدفا سياسيا، وكل منهج سياسي هو حركة إصلاح تمس جانب من جوانب الحياة الاجتماعية، الثقافية، السياسية، البشرية... إضافة إلى ذلك فقد وردت كلمة لإصلاح إلى التفكير الهادئ الذي يتسم بالاتزان والإنصاف، أي ما يرشده ويقود صاحبه إلى الوجهة الصحيحة والفعل الصائب.

في حين يرى الدكتور طهاري محمد الذي تناول نفس القضية ونفس المفهوم لكن وجهته كانت أكثر وضوحاً واختلافاً، إذ ربطه بالجانب اللغوي والديني. أما من الجانب اللغوي فإنه مادة إصلاح مشتقة من الفعل أصلح، وصلح وصلح وتدل على تغير حالة الفساد، أي إزالة الفساد عن الشيء، ويقال أيضا هذا يصلح لك أي يوافقك ويحسن بك، ويقال أيضا صالح كذلك أي فيه أهلية للقيام به وبصفة عامة الصلاح ضد الفساد<sup>(48)</sup>، في حين ورد في الجانب الديني "بمفهومه الواسع".

ومن الناحية التاريخية يوحى لنا بثورة دينية قامه في أوروبا الغربية في القرن السادس عشر وبدأت بشكل نزعة إصلاحية في الكنيسة الكاثوليكية ولكنها تحولت إلى حركة عقائدية عُرفت بالبروتستانتية.<sup>(49)</sup> وقد وردة هذه الفكرة "الإصلاح" في القرآن الكريم بعدة معاني نذكر منها قوله تعالى: "لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو بإصلاح بين الناس"<sup>(50)</sup>.

<sup>(48)</sup> - محمد طهاري، مفهوم الإصلاح بين جمال الدين الافغاني ومحمد عبده، المؤسسة الوطنية للكتاب، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر. ص 11.

<sup>(49)</sup> - محمد شفيق غربال، الموسوعة العربية الميسرة، دار القلم، القاهرة، 1965. عن طهاري محمد، (مر. س)، ص 12.

<sup>(50)</sup> - سورة النساء الآية 113.

المقصود بالإصلاح هو الخير بين الناس في السر والكتمان وأن يكون الأمر به والسعي إليه بين من يتعاونون عليه بالنجوى فيما بينهم<sup>(51)</sup>.

وفي قوله تعالى: "إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله"<sup>(52)</sup>.

والمقصود بالإصلاح في هذه الآية هو لأمر بالمعروف والنهي عن المنكر<sup>(53)</sup>.

وهذه الأمور توحى إلى نزعة كل شخص منهما ومنهم من هو أقرب إلى السياسة ومنهم من هو أقرب إلى الديني بصفة خاصة.

### مفهوم الجبر ولاختيار في فلسفة محمد عبده:

من أهم المواضيع التي خاض فيها محمد عبده قضيته الجبر والاختيار، التي ضمنها محمد حسين في كتابه حيث تناول مسألة التفريق بين الجبرية والاختيار<sup>(54)</sup>.

في حين أوردها محمد طهاري مباشرة، فأخضع هذا الموضوع التعريف وإن صح التعبير الاصطلاح في فلسفة محمد عبده، وقد أختار لذلك ما يناسب السياق ويقول إزاء ذلك: اهتم الشيخ محمد عبده بموضوع الجبر والاختيار، ولهذه العناية سبابان أولهما أن الإفرنج ينسبون عادة انحطاط العالم الإسلامي إلى التمكن عقيدة القضاء والقدر فيهم، وثانيهما: تحويل جميع مهماتهم على العناية الأهلية وقد بين محمد عبده رايه في هذا الموضوع في ووضوح واجاز عند تفسيره لسورة العصر في الجزائر سنة 1903 إذ يقول: "الوجدان يشهد، والحس يشاهد، إن الإنسان مختار في بعض أفعاله كمن يقتل آخر مثلا"<sup>(55)</sup>.

ثم انتهى إلى نتيجة عمله قائلا: "فوجب على كل مسلم أن يعتقد أن الله خالق كل شيء على النحو الذي يعلمه فأن يقر بنسبة عمله كما هو بديهي عنده ويعمل بما أمره به، ويتجنب مانعاه

<sup>51</sup>- طهاري محمد، (مر. س)، ص ص 12، 13.

<sup>52</sup>- سورة هود الآية 88.

<sup>53</sup>- طهاري محمد، (مر. س)، ص 13.

<sup>54</sup>- محمد محمد حسين، (مص. س)، ص 310.

<sup>55</sup>- محمد طهاري (مر. س)، ص 27.

عنه باستعمال ذلك لاختيار الذي يجده من نفسه وليس عليه بعد ذلك إن رفع بصره إلى ما وراءه<sup>(56)</sup>.

زيادة على ذلك فقد طالب العلماء بإصلاح العقيدة وفي هذا الصدد يجدر بنا الإشارة إلى مفهوم القضاء والقدر عند محمد عبده وجمال الدين الأفغاني إذ تناولها بنفس الطريقة والهدف والغاية فكلا الكاتبين قد أوردا هذه القضية ولكل طريقته في الطرح، فمنهم من أختار التضمين ولآخر اختار المباشرة لغاية واحدة وإصلاح العقيدة من كل الشوائب ولعلا الدكتور محمد طاهري كان أكثر قرب وتوفيقاً في عرض هذه القضية ومعالجتها.

### مفهوم القضاء والقدر:

إن القضاء والقدر هو من أصول وأسس العقيدة الإسلامية إذ تناولتها محمد محمد حسين من جانب فساد العقيدة، وكثير ما يرجع البعض من لا خير لهم فمثل أعمالهم وصلاحتها إلى فساد العقيدة والظعن فيها أو لكنهم تناسوا بذلك أنها جاءت بتقدير العزيز العليم أو القضاء والقدر<sup>(57)</sup>، زيادة على ذلك فقد أورد محمد طاهري مفهوم القضاء والقدر من وجهة نظر السيد جمال الدين الأفغاني وتلميذه الشيخ محمد عبده، فحسب رأيهما لكي يصل إلى أكبر درجة من الرقي ولازدهار وبعد فهمه لدينه فهما صحيحاً متلائم مع عصره لان الإسلام صالح لكل زمان ومكان ولهذا استغنى على المسلم أن يخرج من عزته وقوقعته عن طريق العمل الصالح<sup>(58)</sup>.  
وهنا يتبين أن كلا الكاتبين يدعمان فكرة أن الدين يعلو ولا يعلى عليه شيء وهو أساس ملامح الأمور.

### موقف جمال الدين من الاستعمار الانجليزي:

الاستعمار الانجليزي بمثابة الشيطان المتخفي تحت شعار الحماية ونشر المعرفة والثقافات المتنوعة التي جاءت لتنمية التراث العربي وهذا ما أشار إليه محمد محمد حسين حيث تناول قضية التوفيق بين الحضارة الغربية والإسلام تزعمه محمد عبده من انصار الماسونية في مصر 1880م

<sup>56</sup> - محمد طاهري، (مر. س)، ص 28.

<sup>57</sup> - محمد محمد حسين، (مص. س)، ص ص 309، 310.

<sup>58</sup> - محمد طاهري، (مر. س)، ص ص 30، 31.

ليترجع عن موقفهما بعد التفطن إلى ما وراء هذه الحضارة المتفخمة تحت ستار الخدع والحيلة<sup>(59)</sup>. أما في المقابل فقد كان محمد طهاري نظرة ثانية على هذه القضية الذي أشار بدوره إلى جمال الدين الأفغاني ولاستعمار الانجليزي الذي كان رأيه معاكساً لتلاميذه.

محمد عبده الذي رأى بأصل التوفيق بين الإسلام والحضارة الغربية، أما جمال الدين الأفغاني فقد رفض هذا رفضاً قاطعاً، حيث اعتبر الاستعمار يأتي (بالخدعة والحيلة والمكر) وهذا راجع إلى خلفية قوية وذات حجة مقنعة وهو ما فعله الاستعمار البريطاني في مصر حيث قال: "يا أهل الهند وعزه الحق وسر العدل لو كنتم وأنتم تعدون مئات الملايين ذباباً، مع حاميتكم البريطانيين ومن استخدمتم من أنباءكم وحملتهم سلاحها لقتل استقلالكم واستنفاد ثروتكم، وهم بمجموعهم لا يتجاوزون العشرات الألوف، لو كنتم أنتم مئات الملايين كما قلت ذباباً لكان طنينكم يصم أذان بريطانيا العظمى، ويجعل في أذان كبيرهم (غلاذ ستون) وقراء، لو كنتم أنتم مئات الملايين من الهنود، وقد مسخكم الله فجعل كل منكم سلحفاة، وخضتم البحر، وأحطتم جزيرة بريطانيا العظمى، لجررتموها إلى القعر، وعدتم إلى هندكم أحرار."<sup>(60)</sup> زيادة على هذا ما فعلته فرنسا في الجزائر رأت فيه بعد تقسيم شعبها إلى بربر وشاوية وإباضية للعرب بسبب عدم التجانس والتماسك كله اعتبره غير صحيح ودليل ذلك الثورة المسلحة الجزائرية التي أثبتت أن الواقع لا يتفق مع الأطماع الاستعمارية.

لقد كان لطهاري محمد نظرة في صميم ورؤية يوافقه فيها الجميع وفي الصورة الحقيقية عن الاستعمار رأى أنه بينه لنا كل صورة وأوجه المخفية تحت ستار والحماية والتطور إلى أغفلها نوعاً ما محمد حسين في إبرازه لرأي محمد عبده المنافي لرأي أستاذه جمال الدين الأفغاني الذي تفطن لها محمد عبده فيها بعد وأدرك حقيقة المستعمر.

### جمال الدين الأفغاني والإصلاح السياسي:

كان الاستعمار الانجليزي لمصر عدّة نتائج وثغرات تركتها محفورة في أرضه وشعبه وحتى فكره، وهذا ما جسده النزعات الاصطلاحية التي ظهرت آنذاك، منها من رأى أن تطور الدولة يرجع إلى

<sup>(59)</sup> - محمد محمد حسين، (مص. س)، ص ص 294 ، 314.

<sup>(60)</sup> - محمد طهاري، (مر. س)، ص ص 69، 70.

التمسك بالإسلام ومنهم من رأى بالأخذ بمستجدات الحضارة الغربية إلا ان ظهر فريق ثالث وسطي يرى أصحابه بأن الحل هو يأخذ كلا الاتجاهين وقد كان جمال الدين الأفغاني وتلميذه محمد عبده من أنصار هذا الاتجاه وهذا ما أورده محمد محمد حسين في كتابه<sup>(61)</sup>.

أما عصام تليمة فقد كان رأيه متشابه وموافق لما طرحه الكاتب الأول إذا قام مشروع جمال الدين الأفغاني في الإسلام على أربعة أركان: الالتزام بمبادئ الإسلام. ولافتداء سلف الأمة، أما الثاني: تحرير الأمة من الاستبداد الداخلي والخارجي والثالث: توجد الأمة في جامعة إسلامية والرابع الأخذ بأسباب؟ العلوم الغربية، حيث أرتكز في عمليته الإصلاحية على ركيزتين أثنين تحرير إرادة الأمة الفردية والجماعية والعمل على وحدة الأمة حيث جاء بتسمية أطلقها على هاته الحرية سلاح المقاطع حيث ساندته في ذلك العديد من العلماء كالشيخ محمود خطاب الذي حارب الانجليز اقتصادياً، والشيخ حسن. إلا أنه فيما بعد أدرك سلبيات التأثير العلمي الأعمى بالحضارة الغربية وما جاءت به<sup>(62)</sup>.

لقد كان للكاتبين رأي متوافق واحد حول عرض قضية الإصلاح السياسي الذي رأى أصحابه أن صلاح الدولة مرتبط بالجميع بين الإسلام والحضارة الغربية عند جمال الدين الأفغاني رغم أن لكل منهما رأيه والأدلة والمعلومات التي وظفها.

#### موقف محمد عبده ورده على مقالة هانوتو وسبنسر:

خلق الاستعمار الانجليزي لمصر عدة نتائج وثمرات مما جعله ينقسم إلى تيارات واتجاهات وفرق مختلفة، كل واحدة اتجهت بما يخدم مصالحها أو ما رآته مناسب وصائب في تلك الفترة فمنهم من اختار التمسك بالتراث العربي وتنمية ومنهم من اختار الحضارة العربية كقدوة له، وكان فريق ثالث وسطي لا يتجاوز إلا هذا، وهذا ما اتفق عليه الباحثين أو بالأحرى تناولها ضمن قضاياهم المتعلقة بالإصلاح السياسي، فالبدائية مع طهاري محمد الذي أثار وبصورة مباشرة إلى رد محمد عبده على هانوتو سبنسر الذين قارنوا نين الإسلام والنصرانية حيث وصف الاسلام بالضعف ولوهن وأنه قيد حرية الانسان وحمله على الجمود والركود بينما المسيحية أعظم الحرية

<sup>61</sup> - محمد محمد حسين (مص. س)، ص ص 10، 11.

<sup>62</sup> - عصام تليمة، جمال الدين الأفغاني والإصلاح السياسي. ص ص 1، 19.

ودفعهم إلى العمل يرد عليه محمد عبده بكتابه المشهور: "الإسلام والنصرانية في العلم والمدنية" ويفند كل تلك الآراء والأفكار الفاسدة عن الدين الإسلامي إضافة إلى عدة مقالات سنة 1900 بين فيها أن الإسلام عقيدة التوحيد وأن القرآن يحوي أربعاً وستون أية حرية الإرادة<sup>(63)</sup>.

وفي المقابل كان محمد محمد حسين دور في إبراز هذه القضية أو لصراع الفكري حول الإسلام والمسيحية الذي نباه هانوتو ورد عليه محمد عبده وهذا راجع إلى دعاة الحضارة الغربية والمفتونين الذين جعلوا من الإسلام ضعف في وجه الغرب، هذا حفزها هانوتو على القول أن الإسلام راجع كعقيدة وفاشل كنظام اجتماعي، مما دفع بمحمد عبده على الردّ عليه في مقالات سنة 1900 معتبراً أن الحضارة الإسلامية في غير الثقافة الغربية وأنه يرى أن ذلك حافظ إبراهيم ومصطفى كامل<sup>(64)</sup>.

مما يؤخذ من الدارسين أنهما تناولا نفس الموضوع لكن الكيفية اختلفت ورؤى ساعدت من حيث الأفكار وطريقة صياغتها، فكل طريقة ومنهجية ولكن النتيجة واحد والهدف واحد هو أن الإسلام دين الحرية والطهارة وليس التقيد.

#### – محمد عبده والعروة الوثقى

يعتبر محمد عبده من أنصار التوفيق بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية، وذلك من خلال العديد من المواضيع والمقالات التي تناولها ونشرها في "العروة الوثقى" ولعل أهمها: "النصرانية والإسلام وأهلها... الأمل وطلب الجد" أو بعض المواضيع كالفرق بين الجبرية والإيمان بالقضاء والقدر لكن بعد عودته من المنفى فقد ارتد على اتجاهه ودعا إلى التفريق بين الدينين أو الحضاريين، فكل واحد ولها مبادئها وخصوصياتها وأسسها وهذا ما كان متناولا في كتاب محمد حسين إذ بين دور هذه الجريدة في نقل جهود ودور محمد عبده من خلال الاستعمار الإنجليزي على مصر<sup>(65)</sup>.

في المقابل كان الطهاري محمد دور في طرح هذه الفكرة أو بالأحرى هذا الموضوع حيث طرح فيها هدف هذه الجمعية (جمعية العروة الوثقى ومنهجها وأهم الأعضاء الذي انضموا إليها إذ

<sup>(63)</sup> – محمد طهاري، (مص. س)، ص ص 59، 62.

<sup>(64)</sup> – محمد محمد حسين، (مص. س)، ص ص 261، 263.

<sup>(65)</sup> – المصدر نفسه، ص ص 334، 348.



يقول: "تأتي في خدمة الشرقيين على ما في الإمكان ببيان الواجبات التي كان التفريط فيها موجباً للسقوط والضعف وتوضيح الطرق التي يجب سلوكها لتدارك ما فات، والاحتراس من غوائل ماهو آت ويستتبع ذلك البحث في أصول الأسباب ومنشأ العلل التي قصرت بهم إلى بهم جانب التفريط والبواعث التي دفعت بهم إلى مهامه حيرة عميت فيها السبل، واشتبهت بها المضارب وضل المرشد حتى لا يدري السالكون من أين تفجعهم الطوارق المفزعة والمزعجات المدهشة والمدهشات القاتلة... وحل إقامته على النهج الذي يرده والله الموفق"<sup>(66)</sup>، إضافة إلى هذا فإنها كانت تستند إلى قانون أساسي ومن أهم أعضائها: الأمير عبد القادر ومديرها جمال الدين الأفغاني ورئيس التحرير محمد عبده ولعل هذا ما دفع بمحمد عبده إلى نشر العديد من مقالاته ومواضيعه<sup>(67)</sup>.

#### نظرة محمد عبده لاستعمار الانجليزي:

لقد كانت نظرة محمد عبد للاستعمار الانجليزي مجاهد أو مناضل، حيث كان متفطن لحبث وغدر الاحتلال المتخفي تحت رداء السلام والأمن وهذا ما جسدهته المقالات التي ردّ فيها على "هانوتو" الذي أهتم الاسلام بالضعف وأنه جاء لإقامة السلام ولعل أهم ما تناوله في مقالاته أما المقال الأول فقد اتهم "هانوتو" بتحريك تيارات العداوة والتفريق بين المسلمين والمسيحيين بتناول في مقاله الثاني مناقشة قضية القدر والجبر، أما مقاله الثالث فقد رسمه بالتوحيد والتنزيه وتجسيد الألوهية والتشبه وقد وافقه في ذلك عدّة شعراء وانشدوه كحافظ إبراهيم ولعنا بذا فقد قدمنا مناظرة مبسطة لما تناوله محمد محمد حسين في كتابه<sup>(68)</sup>.

لم يحف جبر هذه القضايا والدراسات إلى أن تناولها في مقابل ذلك محمد طهاري في كتابه مفهوم الاصلاح الذي طرح فيه أيضا ووافق محمد محمد حسين بنظرة أو موقف محمد عبده والاستعمار الانجليزي إذا وفق عند نقطة هامة في مسيرة هذا الشيخ وكيفية تعامله واختلافه مع أستاذه جمال الدين الأفغاني في اختلافاً جوهرياً فبينما كان هذا الأخير بطبيعته السياسية، يرى صلاح المحاكم يؤدي بصورة طبيعية إلى صلاح وازدهار الشعب، فكان محمد عبده يستعيد بالله

<sup>(66)</sup> -طهاري محمد، (مر. س)، ص ص 82، 83.

<sup>(67)</sup> - ينظر المرجع نفسه، ص 83.

<sup>(68)</sup> - محمد محمد حسين، (مص. س)، ص 354.

من السياسة إلى وصل به الأمر واتهم بالضعف والتخاذل من قبل العديد من المفكرين وكدليل على ذلك ما قاله عبد الرحمان الراجعي: "ونقطة الضعف في شخصية الأستاذ الإمام محمد عبده في تخلقه عن الكفاح السياسي واختلافه في هذه الناحية مع أستاذه السيد جمال الدين الأفغاني"<sup>(69)</sup>، لكن هذا لا ينفي دور محمد عبده.

---

<sup>(69)</sup> - محمد طهاري، (مر. س)، ص 87.

# خاتمة

## خاتمة

بعد جولتنا الطفيفة والخفيفة في ثنايا هذا الموضوع ومن خلال الدراسة والتحليل والتلخيص لفصول هذا الكتاب والتطرق أيضاً لأهم الدراسات النقدية والآراء النقدية المقارنة توصلنا إلى العديد من النتائج والاستنتاجات، نجلها في النقاط التالية:

- أن الجامعة الإسلامية كانت غالبية على العصبية الجنسية والرابطة القومية في مصر.
- امتداد النزاع في صورة المسألة الشرقية لدى العديد من الكتاب والمفكرين.
- دور العديد من النقاد والمفكرين في المساهمة في هذه التجربة كالكواكبي، عبد الله النديم، مصطفى كامل.
- دور الجرائد كأم القرى والمقالات التي تناولتها في جمع شمل المسلمين تحت راية واحدة.
- تعلق المسلمين بفكرة الجامعة الإسلامية بعد ضغوطات كرومر ومهاجمته المهم.
- بروز جامعة أخرى متوافقة مع الجامعة الإسلامية والتي تجلت في الجامعة المصرية.
- نجاح الحركة المصرية إلى جانب الثورة العربية، لكنها ضعفت بعد فشل الثورة.
- معارضة حزب الأمة والحزب الوطني للجامعة الإسلامية لأن لوطنية هي تجمع بين المواطنين.
- اتحاد صحيفتي الجريدة والمقطم في مهاجمة الجامعة الإسلامية.
- دور الشعراء والأدباء كشوقي في إبراز أثر الجامعة المصرية بعدما اتهمتها صحيفة الجريدة والمقطم بالضعف.
- محنة الجامعة المصرية بعد العديد من الفتن والخلافات كمقتل بطرس غالي مما أدى إلى تفاقم الخلاف.
- انعقاد المؤتمر القبلي والمؤتمر المصري اللذان عدا قمة العنف في النزاع بين عنصر الأمة.
- مجهودات الشعراء في تخفيف الأزمة وبناء الوحدة الغياثي إسماعيل صبري، شوقي وحافظ إبراهيم.
- دور الثورة العربية في تبلور الوعي السياسي لدى المصريين.
- فشل الثورة العربية وانتشار الهزيمة بين المصريين.

- تزعم الخديوي عباس للحركة الوطنية، واتفاق المصريين حوله.
- دور العديد من الشعراء في لمّ شمل المسلمين كمصطفى كامل وشوقي وحافظ إبراهيم.
- النزاع بين السلطة الشرعية والسلطة الفعلية.
- مساندة الشاميين والأرمنيين لاحتلال ومهاجمة المصريين لهم كحافظ إبراهيم.
- بروز النزاعات الإصلاحية التي تكشف لنا وتعالج فساد المجتمع والتربية والأخلاق.
- انقسام زعماء النهضة إلى فريق يساند الاحتلال والآخر يساند الإصلاح.
- انقسام المطالبين بالإصلاح إلى فريقين فريق يدعو للاحتفاظ بالتقاليد الإسلامية والآخر يأخذ بأساليب الحضارة الغربية.
- اثر الحضارة الغربية والتفكير الأوروبي على مظاهر الحياة المصرية.
- الدعوة إلى فصل السلطة الدينية على السلطة المدنية نتيجة التأثير.
- ظهور اتجاه ثالث يجمع بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية كحركة محمد عبده في ذلك.
- دور محمد عبده في استنهاض هم المسلمين في بعض مقالاته كمقالة "القضاء والقدر" ومقاله الإسلام والنصرانية وأهلها".
- ✓ مشاريع اللورد كرومر الإصلاحية في ظاهره والجهنمية في باطنها.
- ✓ تأثير محمد عبده في تلاميذه ومعاصره.
- ✓ انقسام المصلحين إلى مجددين ومحافظين.
- ✓ دور العديد من الصحف والمجلات في تناول هذه القضية والتعبير عنها (كالعري الوثقى، وليالي ستطرح...).
- وفي الأخير لا يسني سوى القول إنما ما توصلنا إليه في بحثنا أو درا سسنا هي مجرد لبنة من لبنات هذا الموضوع الذي يبقى مفتوحاً لأي جديد. فكلما وضعنا نقطة النهاية إلا وجاء باحث أو ناقد أو حتى قارئ وجعلها نقطة لبداية جديدة له.

# قائمة المصادر والمراجع

## المصادر والمراجع:

### المصادر:

1- القرآن الكريم.

2- محمد محمد حسين، الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، الجزء الأول، من الثورة العرابية إلى قيام الحرب العالمية الثانية، المطبعة النموذجية بالحلمية الجديدة، مصر، سنة 1962.

### المراجع:

1- إبراهيم حافظ الديوان

2- أحمد شوقي الديوان

3- الأستاذ الإمام الديوان

4- تلي بالقيس، ثورة أحمد عرابي في مصر 1881، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ المعاصر، إشراف علي زيان، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم العلوم الإنسانية، شعبة تاريخ، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر 2015 / 2016.

5- سلمى الخضراء الجيوسي، تر: عبد الواحد لؤلؤة، الاتجاهات والحركات في الشعر العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 2007.

6- طارق البشرى وآخرون، المواطنة والتحول الديمقراطي في مصر - استطلاع رأى عينة من النخبة، القاهرة، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، 2009.

7- طهاري محمد، مفهوم الإصلاح بين جمال الدين الافغاني ومحمد عبده، المؤسسة الوطنية للكتاب، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.

8- عبد الرحمن الرافعي، الثورة العرابية والاحتلال الإنجليزي، دار المعارف، القاهرة، مصر، الطبعة الرابعة، 1983.

9- عبد الرحمن عبد الواحد الشجاع، اختصار كتاب الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، (د. ط)، 2011.

- 10- عبد الرحمن الكواكبي، طبائع الاستبداد، دار موفم للنشر، الجزائر، (د. ط)، 1988.
- 11- عصام تلمية، جمال الدين الأفغاني والإصلاح السياسي.
- 12- عمر الدسوقي، نشأة النثر الحديث وتطوره، دار الفكر العربي، القاهرة، مطبعة البردة، 2007 - 2008.
- 13- محمد شفيق غربال، الموسوعة العربية الميسرة، دار القلم، القاهرة، 1965.
- 14- محمد عبد الرحمن يونس العبيدي، السلطان عبد الحميد الثاني والجامعة الإسلامية، (1876 - 1909)، رسالة ماجستير غير منشورة قدمت الى كلية التربية، جامعة الموصل، سنة 2000.
- 15- نصير خير الله محمد التكريتي، أضواء على موقف مصر من حركة الجامعة الإسلامية 1882 - 1908، مجلة جامعة تكريت للعلوم، العراق، المجلد (18)، العدد (8)، أيلول 2011.
- 16- الموسوعة الحرة ويكيبيديا، تحت رابط <https://ar.wikipedia.org/wiki/>، تاريخ التصفح: 2019/02/10.